الحقيقة والسلطة والخطاب عند ميشيل فوكو

أستاذ / مُحَمَّد ربابعه

مرشح لنيل الدكتوراة في الفلسفة، قسم الفلسفة – الجامعة الأردنية.

الأستاذ المشارك دكتورة/ ماجدة عمر

أستاذ مشارك في الفلسفة الغربية المعاصرة، قسم الفلسفة – الجامعة الأردنية

الأستاذ الدكتور/ توفيق شومر

أستاذ الفلسفة الغربية المعاصرة وفلسفة العلم، قسم الفلسفة – الجامعة الأردنية.

الملخص

اتجه المشروع الفكري عند ميشيل فوكو إلى إعادة قراءة تاريخ الثقافة الغربية ساعياً من خلال ذلك إلى تسليط الضوء على الموضوعات التي همشتها هذه الثقافة وفرضت عليها المراقبة، حيث تتوزع رؤيته لموضوع العلاقة بين الذات والحقيقة على موقفين، يمكن وصف الأول بالسلبي والآخر بالإيجابي. ويسعى هذا البحث إلى تتبع المنهجية التي يعتمد عليها فوكو في تحليله لطبيعة العلاقة بين الحقيقة والسلطة والخطاب، حيث تلعب السلطة دورًا محوريًا، كما يوضح فوكو، في توجيه الخطاب لتصنيع الحقيقة التي تناسبها والتي تفرضها على المجتمع من خلال صياغة قوانين خاصة لإضفاء الشرعية عليها، وتحويلها لسلاح مسلط على كل من يخالف خطابها. ويصبح بالتالي أي خطاب لا يتوافق مع السردية المصنعة هو خطاب لا يعبر عن الحقيقة ويتم استخدام كل الآليات الممكنة لدى السلطة (من تهميش ومراقبة ومعاقبة)، لإقصائه وتهميشه. ويهدف البحث إلى إلقاء الضوء على مفهوم الحقيقة والسلطة والخطاب عند فوكو من منظور فلسفي. وعليه سيتم مناقشة طرق الإقصاء والتهميش الذي تتبعها السلطة في تحويل كل خطاب آخر إلى "مسكوت عنه"، لتترك الساحة في تشكيل الرأي العام لخطاب السلطة، إلى الحد الذي يجعل من الخطاب الآخر ومن صاحبه في دائرة التأثير. ويخلص البحث إلى اعتبار الخطاب أداة من أدوات السلطة، ومن خلاله تفرض الحقيقة المناسبة لسياساتها وتطلق المصطلحات التي تريدها على الجماعات التي تعارض أهدافها وسياستها، من خلال صناعة رأي عام بالإيحاء أو بالإقناع.

الكلمات المفتاحية: ميشيل فوكو، الحقيقة، السلطة، الخطاب.

Abstract

Michel Foucault's intellectual project focusses on re-examining Western culture history, highlighting the marginalized contents of that culture, which was subjected to monitoring. His vision concerning the relation between the self and the truth is two-fold; one is negative while the other is positive. This research follows Foucault's methodological analysis of truth, power, and discourse. Political power plays a significant role, as Foucault claims, in directing the discourse toward shaping the truth that suits such power. Political power will craft laws and norms to legitimize the crafted truth imposed on community. Hence, any discourse that does not accept the dominant one, is not "true", and the political power will use all the techniques in its disposal (marginalization, disciplining, monitoring, and punishment), to marginalize and eliminate it. This research aims at highlighting the philosophical view of Foucault's on truth, power, and discourse. Hence the study will discuss the power techniques of used by powers of elimination and marginalization, that turn other discourses to "silenced", leaving the public sphere in the hands of one dominant discourse, while the silenced discourse becomes far from being influential. Besides, the discourse can be considered as a tool of power that is used to impose the appropriate truth on its policies and its own terminology to describe the opposition groups of this power and to their goals and policies. Thus, through alluding or convincing public opinion can be formed and shaped.

Keywords: Michel Foucault, truth, power, discourse

.

المقدمة

أي حديث عن الحقيقة والسلطة والخطاب سيقودنا بالضرورة إلى فلسفة ميشيل فوكو، حيث طرح العديد من التساؤلات حول هذه المفاهيم في انشغالاته وهمومه الفلسفية، فتطرق إلى جملة من التساؤلات التي يمكن أن تهمنا هنا: فما الطريقةُ التي تبنى بها الذات؟ وما هي الآليات المتبعة في إنتاج الحقيقة لدى السلطة والتي ينبغي على الذات أن تسلكها كي تبلغ الحقيقة التي هي في نهاية المطاف الحقيقة التي تفرضها هذه السلطة؟

عمل فوكو على إبراز مفهوم مختلف للسلطة يرتكز على منظور استراتيجي يركز على واقع الصراعات بين القوى، وهي ليست مؤسسة وليست قوة وهبت للبعض. إنها ما يمكن أن نطلقه على وضعية استراتيجية معقدة في مجتمع معين؛ فهي منبثة ومنتشرة في كل مكان وفي داخل الحقل الاجتماعي برمته. فالسلطة لا تنحصر في السلطة السياسية، فلها مجموعة من الفضاءات تعوم من خلالها مثل: سلطة الموروث وسلطة النص وسلطة القانون. وهذا يفتح المجال للتفكير بسلطة المعرفة التي يتم من خلالها كشف زيف هذا العالم.

أما الخطاب، فيمثل عنصراً مركزياً في أعمال فوكو، حيث يتعامل مع مفاهيم: السلطة، والحقيقة، والإرادة، والنص. ويفترض فوكو أن انتاج الخطاب في كل مجتمع هو "إنتاج مراقب ومنتفي، ومنظم، ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته ومخاطره، والتحكم في حدوثه المحتمل، وإخفاء ماديته الثقيلة والرهيبة"[١]. وعليه يرى فوكو أن السلطة لكي تتمكن من فرض الحقيقة التي تريدها، وللتهرب من أعبائه المادية الثقيلة والهائلة، فمن الضروري لها السيطرة على الخطاب في المقام الأول. ويرى أن السيطرة على الخطاب من الأشكال الأولى للسلطة، أما السيطرة على عقول الناس فهي الطريقة الأساسية لتكريس الهيمنة.

(١) فوكو، ميشيل، **نظام الخطاب**، ترجمة: مُحَمَّد سبيلا، (بيروت: دار التنوير، ٢٠٠٧)، ص ٤.

كما يعمد الخطاب إلى فرض هيمنته على المجتمع عبر ترسيخ أفكار مرجعه الأيديولوجي السياسي والعقائدي والاقتصادي والإعلامي في عقول الجمهور بواسطة اللغة، ويستهدف الخطاب ما تختزنه العقول من المعارف الاجتماعية، بسبب إخضاعها للوعي الجديد والخادم للأيديولوجيا المتحكمة في عملية الاتصال والتواصل. ولتحقيق التأثير والإخضاع على أكمل وجه تنسق الخطابات سياقياً ومعرفياً واجتماعياً وثقافياً بهدف فرض معرفة وحقيقة بديلة وتبويئها منزلة الصواب والخطأ. ولا يمكن لخطاب أي مؤسسة أن يكون موضوعيًّا وحياديًّا وحقيقيًّا، بل إن الحقيقة تقاس بمقدار استجابة الخطاب للقواعد التي تفرضها السلطة والمؤسسة.

الدراسات السابقة:

لقد شكلت أطروحات فوكو الفلسفية في مختلف مجالاتها حقلاً خصباً لكثيرٍ من الأبحاث والدراسات التي تطرقت لفهم وتحليل هذه الأطروحات التي تعد من أهم الأطروحات الفلسفية في القرن العشرين، وقد كان موضوع الحقيقة والسلطة والخطاب وتحليلات فوكو لعلاقتهما الفلسفية محوراً للعديد من هذه الدراسات المختلفة التي استهدفت توضيح وتفسير العلاقة بين الحقيقة والسلطة والخطاب:

أشارت بعض الدراسات السابقة في هذا المجال والتي تطرقت إلى علاقة المعرفة بالسلطة وأكدت أنها ليست وليدة اليوم، وأن إشكالية السلطة والمعرفة إشكالية معاصرة وتوضح أن المعرفة والقوة خطان متوازيان، في دراسة بعنوان "في المعرفة والسلطة" يوضح الباحث أن وظيفة المعرفة تجعل منها قوة وسلطة في يد من يمتلكها. وتوضح الدراسة أنه ومنذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نُظِرَ في مفهوم السلطة والمعرفة معاً وفي العلاقة التي تربطهما، والوصول إلى حد إرساء قواعد مفهوم كل من القوة والعنف. وبالإشارة إلى موضوع التأويل على أنه علاقة صراع واستحواذ وعنف (علاقة تملك)، فالعلاقة لم تعد علاقة تأمل ونظر. وأشارت الدراسة إلى إعادة النظر في مفهوم السلطة والمعرفة والعلاقة بينهما من

خلال الفيلسوف ميشيل فوكو الذي أرسى هذا المفهوم الجديد عن السلطة[١].

وأشارت دراسة بعنوان "بين اللغة والخطاب والمجتمع" لأهمية النظر في مجموعة من العلاقات، كعلاقة اللغة بالسلطة والإيديولوجية والثقافة. وقد ركز الباحث في هذه الدراسة على آراء ميشيل فوكو الذي يطرح في هذا الشأن تساؤلاً حول علاقة الخطاب بالممارسة السياسية، وأشار الباحث في دراسته إلى العلاقة بين السلطة وسلطة الخطاب، وذهب في دراسته للإجراءات الخارجية التي تتشكل من عملية المنع والقسمة والرفض وإرادة المعرفة والحقيقة، والتي ترتبط بالممارسات الخطابية وغير الخطابية في التاريخ، بغية الوصول لتشخيص الحاضر تشخيصاً نقدياً، كما ركزت الدراسة على الإجراءات الداخلية المتمثلة في التعليق والمؤلف والفرع المعرفي، وأوضحت الدراسة إجراءات الاستخدام والتوظيف التي هي عبارة عن جمعيات الخطاب أو جماعة الخطاب والمذاهب الدينية والفلسفية والسياسية، والتملك الاجتماعي للخطابات. وخصص الباحث نهاية الدراسة لموضوع سلطة الخطاب واللغة[٢].

وعمدت دراسة أخرى بعنوان "دراسة سياسة الذات والحقيقة في فلسفة ميشيل فوكو" الى بحث معرفة إشكالية الذات في فلسفة ما بعد الحداثة من خلال فلسفة ميشيل فوكو، والسعي لمعرفة كيفية تشكل الذات الغربية عبر التاريخ من وجهة نظر فوكو، وبيان المنزلة التي يتمتع بها الوعي بالذات والحقيقة في فلسفة فوكو، عبر أركيولوجيا المعرفة وصولاً إلى جينيالوجيا الذات، كما أشارت هذه الدراسة إلى أن فوكو جعل من الحكمة السقراطية "اعرف نفسك بنفسك" نقطة انطلاق من خلالها أبرز قيمة الذات والاهتمام والانشغال بها كإطار محكم لموضوع المعرفة، وتطرقت هذه الدراسة إلى المراحل الثلاثة التي مرت بها الذات —اللحظة السقراطية— الأفلاطونية ومن الاهتمام بالنفس، والإشارة إلى الإشكال الذي طرحه

(١) بنعبد العالي، عبد السلام، **في المعرفة والسلطة**، أعمال المؤتمر الأول: في الحاجة للتأويل، (مرتيل: مختبر التأويليات والدراسات النصية واللسانية، ٢٠١٨) ص ١٣-١٧.

(٢) بغورة، الزواوي، بين اللغة والخطاب والمجتمع: مقاربة فلسفية اجتماعية، (الجزائر: **المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٢**).

فوكو حول تجاهل مبدأ اعرف نفسك بنفسك، والتركيز على المعرفة بدلاً من الاهتمام الذي شكل القاعدة الأولى للعديد من أشكال العيش، والانتقال بعد ذلك من الاهتمام بفلسفة الذات إلى خطاب الجنسانية(١).

وتختلف الدراسة الحالية في أنها تركز على مفهوم الحقيقة وعلاقته بالسلطة والخطاب. فتتبع الآليات التي تنظمها السلطة من خلال توجيه الخطاب لتصنيع الحقيقة التي تريدها.

مصطلحات الدراسة:

الحقيقة: مجموعة من الإجراءات المنظمة لإنتاج وتشريع وتوزيع وترويج وعمل الملفوظات. وهي مرتبطة دائرياً بالسلطة وأجهزتها فهي من تنتجها وتحميها، وهذا ما يسمى نظام الحقيقة، وقد أكد فوكو أن الحقيقة ليست خارج السلطة ولا مجردة منها، والحقيقة من هذا العالم وتنتج فيه بفعل الزامات متعددة، لكنها تحتفظ منه بشكل منتظم لأفاعيل سلطوية. ولكل مجتمع نظامه الخاص بالحقيقة يتضمن سياسته العامة للحقيقة.

السلطة: على الرغم من التعريفات المتعددة لها، إلا أن فوكو أخذ بعداً آخر في تعريفه للسلطة حيث استبعد التصورات التقليدية والنظريات السابقة، أي أنها الاستراتيجيات التي بواسطتها تعمل موازين القوى عملها وفعلها، والسلطة ليست السلطة السياسية فقط، وهناك سلطة لكل شيء في المجتمع: سلطة مؤسسات وسلطة معرفية واجتماعية ودينية، وهناك مجموعة كبيرة من أنماط السلطة، وهذه الأنماط تؤثر على تفكير الأفراد بشكل مباشر أو غير مباشر، وإن تأثير السلطة غير المرئية أكبر من تأثير السلطة المرئية.

الخطاب: ميدان رحب، يتكون من مجموعة من العبارات الفعلية، ملفوظةً أو مكتوبة، في تبعثرها كأحداث، وفي اختلاف مستوياتها. وقبل أن نتناول بثقةِ نفس علماً من العلوم، أو بعض الروايات، أو الخطابات السياسية، أو عمل مؤلف ما، أو كتابًا من الكتب،

(١) خنوس، أشواق، وعيادي، عبد المالك، دراسة سياسة الذات والحقيقة في فلسفة ميشيل فوكو، (الأردن: **مجلة دراسات**، ٢٠٢٢)، ١٣(١).

فإن المادة التي يتم التعامل معها على أساس "حيادي"، هي على العموم عبارة عن ركام من الأحداث داخل فضاء الخطاب، ومن هنا يصور مشروع وصف الأحداث الخطابية كأفق للبحث عن الوحدات التي تتشكل في الخطاب.

الإبستمولوجيا: هي كلمة يونانية الأصل، تتكون من مقطعين، الأول (Episteme) ويعني المعرفة، والمقطع الثاني هو (logos) ويعني السبب، ويسمى مصطلح الإبستمولوجيا بنظرية المعرفة؛ لأنه يشير إلى دراسة المعرفة وكل ما يرتبط بها ارتباط وثيق، مثل التبرير.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

مشكلة الدراسة:

يمكننا تحديد مشكلة الدراسة في تحليل الرؤية الفلسفية للحقيقة والسلطة في أعمال فوكو، والعمل على محاولة توضيح الأسس الفلسفية التي أسس فوكو بها رؤيته الخاصة في بنائه للحقيقة والسلطة وما تشكله من القدرة على مخاطبة العقول والتأثير عليها من خلال فرض الحقيقة التي تريدها السلطة.

وانطلاقاً من المشكلة البحثية حاولت الدراسة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات المتعلقة بالمنظور الفلسفي للحقيقة والسلطة عند فوكو: الخطاب وعلاقته بالسلطة التي تمارس هيمنتها وتأثيرها على المؤسسات والمجتمع من خلاله، وتقوم عملية مراقبة الخطاب بفرض اشكال متعددة وممنهجة للرقابة عليه. وما العلاقة بين الأبستمولوجيا والسلطة في الخطاب الفلسفي عند فوكو، وكيف أسس فوكو العلاقة بين المجتمع والسلطة، والكيفية التي تفرض فيها السلطة على المجتمع بعض المصطلحات من خلال اللغة.

أسئلة الدراسة:

١- كيف تفرض السلطة الحقيقة التي تريدها على المجتمع؟

٢- كيف تصنّع السلطة بعض المصطلحات من أجل التأثير على الرأي العام؟

أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على المنظور الفلسفي للحقيقة والسلطة عند ميشيل فوكو من خلال توضيح الأسس الفلسفية التي انطلق منها في تأسيسه لمفهوم الحقيقة والسلطة وتوضيح العلاقة بينهما، وكيف تفرض هذه الحقيقة على المجتمع، إضافةً إلى توضيح العلاقة بين الخطاب والسلطة، وأخيراً توضيح صناعة المصطلحات من قبل السلطة وفرضها على الرأي العام.

أهمية الدراسة:

تعود أهمية دراسة هذا الموضوع إلى سببين: ذاتيّ، وموضوعي:

السبب الذاتي الذي يمكن الاعتماد عليه في هذه الدراسة لتكون مرجعية يَعتمد عليها الباحثون في دراسات وأبحاث أخرى تدور حول هذا الموضوع، حيث إن هذه الدراسة تعتبر من الدراسات القليلة والنادرة مقارنة بغيرها من الدراسات، واتباع الأسلوب والمنهجية التي تطرق لها الباحث، وتطبيق ذلك على صناعة الحقيقة وعلاقتها بالسلطة في ظل المقاربات الفلسفية المعاصرة.

أما أهمية البحث من الناحية الموضوعية فتأتي من خلال البحث في المواقف الفلسفية المختلفة، وخاصة رؤية ميشيل فوكو حول مفهوم الحقيقة والسلطة، ويساعدنا ذلك على الغوص في أفكاره وفهمها؛ التي تدور حول العلاقة الجدلية بين السلطة والحقيقة وأبعادهما، خصوصاً أن هذا المفهوم قد صاحبه كثيرٌ من الجدل والنقد والدراسات بين معارض ومؤيد، والتطرق لرؤية نعوم تشومسكي التي يشير من خلالها إلى أن بعض المصطلحات يتم صناعتها وفق رؤية السلطة.

منهجية الدراسة:

يعتمد هذا البحث الأسلوب النقدي التحليلي الذي من خلاله سيعمل الباحث على عملية نقد الأحداث والوقائع التي تهم العلاقة ما بين السلطة والحقيقة، المتعلقة بشكل رئيسي بالموضوع البحثي قيد الدراسة، والعمل على دراسة كافة الإشكاليات المتعلقة بهذا الموضوع، للخروج من خلال ذلك بنتيجة موضوعية.

والمنهج النقدي التحليلي: هو المنهج المتبع في عملية تحليل النصوص والأعمال الأدبية بأسلوب يسهل من خلاله فهم ودراسة العلاقات بين السلطة والحقيقة، حيث يمكن من خلال المنهج كشف عملية التداخلات الحاصلة بين السلطة والحقيقة ومعرفة كيف أن للسلطة القدرة على فرض الحقيقة وهيكلتها، إذ يعتبر التحليل النقدي للحقيقة في ميادين العلم والمعرفة البحثية المعاصرة، لما يتناوله هذا المنهج من إشكاليات تتعلق بالسلطة والحقيقة.

حدود الدراسة: اقتصرت الدراسة الحالية على عرض الحقيقة والسلطة والخطاب عند ميشيل فوكو، والتطرق لرؤية نعوم تشومسكي التي يشير من خلالها إلى أن بعض المصطلحات يتم صناعتها وفق رؤية السلطة. وقد صب اهتمامنا على التعريف بالحقيقة والسلطة والخطاب، بالإضافة إلى المصطلحات التي يتم فرضها من قبل السلطة عن طريق وسائل الاتصال والإعلام.

إجراءات وأدوات البحث:

١- التعريف بالحقيقة من وجهة نظر فلسفية وخاصة عند ميشيل فوكو.

٢- التعريف بالحقيقة والسلطة ودور العلاقة بينهما.

٣- التعريف بالثلاثية الحاكمة المعرفة والسلطة والقانون.

٤- تسليط الضوء على الخطاب وسلطة الخطاب، والإجراءات الخارجية والداخلية وإجراءات الاستخدام والتوظيف التي يتعرض لها الخطاب.

أولا: الحقيقة:

يعرف ميشيل فوكو[١] الحقيقة على أنها مجموعة من الإجراءات المنظمة لإنتاج وتشريع وتوزيع وترويج وعمل الملفوظات. وهي مرتبطة دائرياً بالسلطة وأجهزتها فهي من تنتجها وتحميها، وهذا ما يسمى نظام الحقيقة، وقد أكد فوكو أن الحقيقة ليست خارج السلطة ولا مجردة منها، والحقيقة من هذا العالم وتنتج فيه بفعل الزامات متعددة، لكنها تحتفظ منه بشكل منتظم لأفاعيل سلطوية. ولكل مجتمع نظامه الخاص بالحقيقة يتضمن سياسته العامة للحقيقة(٢).

عمل فوكو على قراءة ومتابعة النصوص التي صاغتها المدارس الفلسفية اليونانية، ويتتبع فوكو الحقيقة بداية من تأويلات حكمة دلفي "اعرف نفسك" ومن حكمة الفيلسوف اليوناني سقراط انطلاقاً من حكمة "اعرف نفسك بنفسك" ومطالبته بأن ينشغل الإنسان وأن يهتم بنفسه، كما أن الاهتمام بالنفس تم وصفه بأنه حكمة للحياة الفلسفية والأخلاقية القديمة(٣)، ومن هنا اختار فوكو العلاقة بين الذات والحقيقة؛ المفهوم الخاص بالاهتمام بالنفس الذي لم يهتم به كثيراً التأريخ الفلسفي، وفي الوقت الذي تشير فيه جميع الدلائل في تاريخ الفلسفة وبشكل عام في تاريخ الفكر الغربي، إلى أن حكمة "اعرف نفسك" من دون شك هي الصيغة المؤسسة لمسألة العلاقة بين الذات والحقيقة(٤).

لقد ظهرت حكمة "اعرف نفسك" في الفلسفة عندما ارتبطت بشخص سقراط وتم

---

[١] ميشيل فوكو: (١٩٢٦- ١٩٨٤) مفكر وفيلسوف فرنسي يعد أحد أهم المفكرين الغربيين في النصف الثاني من القرن العشرين، كما يوصف بأنه الفيلسوف الأكثر تأثيرا في فلاسفة ما بعد الحداثة. ترك فوكو مؤلفات عديدة ومن أهماها تاريخ الجنون، وميلاد العيادة، وحفريات المعرفة، والمراقبة والعقاب، والكلمات والأشياء.

(٢) فوكو، ميشيل، **المعرفة والسلطة**، ترجمة: عبد العزيز العيادي، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٤)، ص ٣٤.

(٣) فوكو، ميشيل ، **يجب الدفاع عن المجتمع**، دروس أُلقيت في الكوليج دي فرانس لسنة ١٩٧٦، ترجمة: الزواوي بغورة، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١)، ص ٩.

(٤) المرجع نفسه، ١٠-١١.

صياغتها داخل إطار عام هو "اعرف نفسك بنفسك"، والحقيقة التي يتخذها سقراط أن يتعدى الإنسان بمعرفته لما حوله، ويجب عليه الاهتمام بذاته، دون أي رقيب، مؤكداً على أنّ مَن يريد حكم الآخرين يجب عليه معرفة نفسه بنفسه والانشغال بذاته؛ أي قدرته على حكم نفسه قبل أن يطمح لحكم الآخرين، ولكي يصل الإنسان لهذه المرحلة يجب عليه تربية نفسه عبر مجموعة من الممارسات لكي يطهر نفسه ويحافظ عليها بالشكل الصحيح(١).

كما أكد فوكو أنه يجب معرفة الذات والاهتمام بها وإعدادها على قول الحقيقة لنفسها وللآخرين مهما كلف الأمر، وقول الحقيقة كما كان سقراط الذي قدم نفسه على مبدأ أن وظيفته هي دعوة الناس من أجل الاهتمام بذواتهم، وكان شديد الحرص على إبلاغها "إذا حكم عليه الأثينيون بالإعدام فهو مرتاح لهذه النهاية ولن يخسر شيئًا، بالعكس فالأثينيون هم من سيخسرون كثيراً بحيث لن يجدوا بعده من يدعوهم إلى الاهتمام بذواتهم"(٢). إن القيمة والأهمية التي أعطاها فوكو للمبدأ السقراطي لم تكن نفسها في ماضيه. حيث يوجد مطالبة تدعو إلى الاهتمام بالنفس، لكن هذه الدعوة لا تتوقف عند مبدأ الاهتمام بالنفس، وهذا ما أشار إليه فوكو: أن الاهتمام بالنفس لا يمكن أن يحصل في ظل غياب السلطة، حيث كان الاهتمام بالنفس في القديم تحصيل حاصل للوضع الراهن، فقد ارتبط الاهتمام بالرغبة في القدرة على السيطرة والتحكم في شؤون الدولة.

ويؤكد فوكو أن الاهتمام بالنفس يتضمن إرادة الفرد في ممارسة الحكم السياسي على الآخرين، ولا يمكن لنا أن نحكم الآخرين بشكل جيد، وليس لنا قدرة على تحويل قدراتنا وامتيازاتنا لفعل سياسي وممارسته على الآخرين إذا لم نلتفت للاهتمام بأنفسنا، والاهتمامُ بالنفس حلقة وصل بين الامتياز والفعل السياسي، وهنا نقطةُ ميلادِ وظهورِ التصور، أعني

(١) فوكو، ميشيل، **هم الحقيقة**، ترجمة: مصطفى المسناوي وآخرون، (الجزائر: منشورات الاختلاف، ٢٠٠٦)، ص ٩٧.
(٢) فوكو، ميشيل، **الاهمام بالذات، جمالية الوجود وجرأة قول الحقيقة**، تقديم وترجمة: محمد ازويتة، (المغرب: أفريقيا الشرق، ٢٠١٥أ)، ص ١٢.

الاهتمام بالنفس[١].

يستمر انشغال الفلسفة اليونانية والهلنستية والرومانية بمطلب الاهتمام والانشغال بالنفس وعلاقتها بمبدأ "اعرف نفسك"؛ ويقتبس فوكو قول أبيقور: "كل إنسان في الليل، وفي النهار، وطوال حياته عليه أن يهتم بروحه الخاص"، ليؤكد أن للاهتمام بالنفس أهمية أساسية. كما أن الاهتمام بالنفس ليس مهماً عند الفلاسفة فقط، ولا يمثل شرطاً لدخول الحياة الفلسفية بالمعنى الحصري الكامل للكلمة وحسبُ، ويمضي فوكو فيما يريد أن يبينه في أن الانشغال بالذات تحول إلى ظاهرة ثقافية وحدثٍ فكري في الوقت نفسه، بمعنى أنه كان انشغالاً فلسفيًّا وممارسةً وقطعَ كل تاريخ الفلسفة القديمة حتى بداية المسيحية إلا أن فوكو صور المنهج الذي كانت عليه الفلسفة بالروحانية[٢].

ولكن ما يريده فوكو ويؤكده هو أنه يجب على الذات أن تطبق على نفسها مجموعة من التحولات الأساسية للوصول إلى الحقيقة، وتنتهج تجارب محددة لكي تصبح الحقيقة في متناولها، وبدون هذا الطريق لا يمكن للحقيقة أن تخرج للعلن، وأن الحقيقة في تصورها للإنسان تعمل على إحداث تحول في الذات، إذ تصل بها من خلال ذلك إلى درجة الطمأنينة والراحة والهدوء، فهي ليست تحولاً له كفرد، بل ككيان. ونتيجةً لذلك يؤكد فوكو أنه حدثَتْ قطيعة مع فكرة القدماء، ونشأ نزاع بين الروحانية واللاهوت على بلوغ الحقيقة ومبدأ تحول كينونة النفس ذاتها، وأن هذه القطيعة والانفصال لم تحدث فجأة ولم يكن هناك أي صراع ونزاع بين الفكر الروحاني والعلوم[٣].

ولكنْ، مع فلسفة رينيه ديكارت (١٥٦٩-١٦٥٠) يرى فوكو أنه حصل تراجع لمبدأ

(١) دريفوس، أوبير، وبراينوف، بول، **ميشال فوكو: مسيرة الفلسفية**، ترجمة: جورج أبو صالح، (بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٠)، ص ٢١٧.

(٢) فوكو، **يجب الدفاع عن المجتمع**، ص ١٨-١٩.

(٣) فوكو، ميشيل، **تأويل الذات**، دروس أُلقيت في الكوليج دي فرانس لسنة ١٩٨١-١٩٨٢، ترجمة: الزواوي بغورة، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠١١)، ص ٧٣-٤٧.

الاهتمام بالذات لصالح معرفة الذات، وهذا له علاقة محددة مع الحقيقة وتاريخ الحقيقة، على صعيد المستوى الفلسفي بما أسماه "اللحظة الديكارتية"، ويؤكد فوكو أن ديكارت هو المسؤول عن هذا التحول في كتابه "التأملات" لأنه وضع البداهة في مقدمة التفكير، دون أي شك ممكن. ويعتبر المسار الديكارتي قد أهمل مسألة الانشغال بالذات من حقل التفكير الفلسفي المعاصر، وتتوقف المسألة عند الذات الأبستيمولوجية بوجودها، بداية من مقولة ديكارت "أنا أفكر، إذاً أنا موجود" وهنا يرى فوكو أن الحقيقة "قادرة على إنقاذ الذات وتغييرها" لكنْ بالمقابل يرى ديكارت أن "الذات كما هي قادرة على الوصول إلى الحقيقة كما هي، غير قادرة على إنقاذ الذات"[(١)]، إلا أن فوكو واصل القول: أنا لا أستطيع أن أحدد فيما إذا كان الإبداع متحققاً عند ديكارت في اللحظة التي يصل فيها العقل إلى الحقيقة، أم إن كان الإبداع الحقيقي هو في المسافة بين حقيقة وأخرى[(٢)].

وعلى الرغم من ذلك فإن القطيعة التي بدأت مع ديكارت لا يمكنها فوراً أن تنفذ إلى المعرفة وأن تفصل ما هو روحاني عن ما هو معرفي، بل ظل التشابك موجوداً، وقد تجسد بشكل مباشر في فلسفة سبينوزا Spinoza (١٦٣٢– ١٦٧٧)، إذ أن مسألة بلوغ الحقيقة عنده مرتبطة في صياغتها ذاتها بسلسلة من الشروط والمطالب المتعلقة بكينونة النفس، أي أنها عمدت إلى الجمع بين فلسفة البحث عن الحقيقة والتوجه الروحاني، الذي يدعو إلى دفع الإنسان لإجراء تغيرات بنفسه لنفسه، وصولاً لتحقيق غايته الذاتية العارفة[(٣)]، ويستمر هذا النهج بنفس الطريقة في فلسفة كانط Kant (١٧٢٤–١٨٠٤) فالروحانية لديه لم تنقرض لا من التفكير الفلسفي ولا من المعرفة، أي الدفاع المستميت عن هذه الأغلاط وبحث صيغة لتشريعها.

(١) فوكو، ميشيل، تدبير الحقيقة، ترجمة: سبيلا وبنعبد العالي، (المغرب: **مجلة الجابري**، ٢٠١٥أ)، (٣)، ص ٢٠–٢١.

(٢) تشومسكي، نعوم، فوكو، ميشيل، **عن الطبيعة الإنسانية**، ترجمة: أمير زكي، (القاهرة: دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٥)، ص ٣٢.

(٣) فوكو، **تأويل الذات**، ص ٣٥.

والعديد من الفلاسفة الذين تبنوا هذا النهج أمثال نيتشه Nietzsche (١٨٤٤-١٩٠٠) غيروا في الحقيقة وبدلوا في الدليل الذي يؤولها، أيْ أن الإنسان يجب أن يغير في كينونته حتى يصل إلى الحقيقة[١]، وكذا هيجل Hegel (١٧٧٠-١٨٣٤) فهنالك نوع من الروحانية تحاول أن تربط بين المعرفة وفعل المعرفة، وشرط هذا الفعل وأثاره في تحول كينونة الذات، أي أن الخطاب الفلسفي التقليدي مزعج، وهذا ما أكده فوكو "هذا الرواح والغدو حول حافة الفلسفة نفسها يجعلان الحدود بين الفلسفي وغير الفلسفي قابلة للاختراق"[٢].

وبحسب فوكو فإن كلاً من الماركسية والتحليل النفسي عند فرويد في تعاملهم مع مسألة كينونة الذات، وما يجب أن تكون عليه الذات لتبلغ الحقيقة، يبرزان نوعا من الأبعاد الروحانية، على الرغم من عدم الوضوح والصراحة. إذ إنهما حاولا إضفاء "طابع الشرعية" على هذه الأبعاد الروحانية من خلال عدد من الأشكال الاجتماعية مثل فكرة الوضع الطبقي أو الانتماء لحزب سياسي أو فئة أو التأهيل والتدريب في جماعة ما أو الانتماء لمدرسة، في محاولة لتأسيس تكوين الذات من أجل الوصول إلى الحقيقة. وكان المحلل النفسي لاكان Lacan (١٩٠١-١٩٨١) بحسب فوكو هو "الوحيد منذ فرويد الذي أراد أن يركّز مسألة التحليل النفسي على موضوع العلاقة بين الحقيقة والذات"[٣]، ولكن ما أراد أن يؤكده فوكو بلغة المعرفة التحليلية الخاصة أن المسألة ترتبط بما "تدفعه الذات ثمنا من أجل قول الحقيقة"[٤]. وهناك تأثير لما يقدمه الشخص من حقيقة عن نفسه، أي عندما تقول الحقيقة لنفسها، وإن هذا كله يعود لأقدم تراث وسؤال واستفهام متعلق بالذات، وكان الشكل الأكثر عموميةً للروحانية والمحافظة على الذات وبنائها بالشكل الصحيح هو محور الطب

(١) ولد أباه، السيد، **التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو**، (بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٤)، ص ٧٤.

(٢) روجيه، بول دروا، **حوارات فلسفية**، ترجمة: مُحَمَّد ميلاد، (دمشق: دار الحوار، ٢٠٠٤)، ص ١٨.

(٣) فوكو، **تأويل الذات**، ص ٣٧.

(٤) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

كممارسة عندما يتعلق الأمر باستعمال الذات[١].

يمكن الادعاء بأن جميع أنواع المعارف بل وحتى العلوم، فضلاً عن أشكال الحقائق، ما هي إلا مفعولات لأنساقٍ وبنًى أبستيمية تمتلك من القوة والسلطة ما يمكنها أن تفرض نفسها في إطار عصر أو مجتمع ما، وهذا بدوره يبطل ما انتهت إليه الفلسفات الميتافيزيقية من أن الذات يمكن لها أن تلج عالم الحقيقة من خلال المعرفة التي تنتجها، لأن الذات في ظل هيمنة الأنساق لم تعد فاعلة، بل على العكس مستلبة ومنفعلة، فاقدة لنشاطها ولعملها، خاضعة لسلطة الأنساق الأبستيمية السلطوية التي تحدد الأشكال والمجالات الممكنة للمعرفة[٢]، وبما أن الفلسفة تنظر إلى الطرق التي يمكنها أن توصل الإنسان للحقيقة (المناهج الفلسفية)، من خلال وضع جملة من القيود والشروط الخاصة لطرق الوصول هذه وحدودها. ونتيجةً لذلك أصبح طريق طالب الحقيقة الوحيد للوصول إلى الحقيقة هو طريق المعرفة.

لم يعد هنالك إلا طريقتان للوصول إلى الحقيقة هما قواعد منهج صارمة وطبيعة موضوع المعرفة، شريطة ألا يكون الشخص مجنونًا، وأن يكون قد حصل على قدرٍ كافٍ من العلم والمعرفة متمتعًا بالنزاهة ولا يكون له أي دافع مصلحي خاص سوى رغبته في التوصل إلى الحقيقة، فمنذ اللحظة التي تصبح فيها هوية الإنسان لا علاقة شخصية لها بالحقيقة، يمكن للانفصال أن يتحقق بين الحقيقة والذاتية، والذي يعتبر إيذانا بالوصول إلى فترة تاريخية مختلفة، أي يمكننا القول حينها بأن عصراً حديثاً للحقيقة قد بدأ. ويعتقد فوكو أنه من الضروري النظر في تطبيقات الذات وضبط فعاليتها في الوسط الاجتماعي، فلا يمكننا أن نوجه جل اهتمامنا وتركيزنا نحو الاشتغال بالذات إلا لتوضيح معنى جمالية الحياة، في ظل المعنى الأخلاقي.

ويقول جيل دولوز Gilles Deleuze (١٩٢٥-١٩٩٥) في هذا الصدد: "أن الصيغة

(١) فوكو، **الاهتمام بالذات، جمالية الوجود وجرأة قول الحقيقة**، ص ٢٥.

(٢) فوكو، ميشيل، **تاريخ الجنسانية، إرادة المعرفة**، ترجمة: مطاوع صفدي وجورج أبي صالح، (بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٠)، ص ٦٨.

الأعم لعلاقة الذات بذاتها هي: تأثير الذات في ذاتها وتأثرها بها، أي القوة المنطوية. يتم تولّد الذات بالانطواء والانثناء"[١]، ويقصد دولوز هنا التوضيح أن الذات هي عبارة عن شبكة لها طرق مختلفة تبني تلك العلاقات التي هي عبارة عن نوع من الرغبة ومتعة المعرفة والسلطة من خلال نسيج مترابط ومتماسك فيما بينها لعلاقة الذات بذاتها، وبذلك يصبح حلقة تعرض من وقت إلى آخر بغض النظر عن تعدد إمكانية تحقيقه والوصول إليه.

ثانيًا: الحقيقة والسلطة:

لقد استخدم فوكو العديد من المصطلحات والمفاهيم التي درس بها الثقافة الغربية، عبر التاريخ، منذ الحقبة اليونانية وصولاً إلى الواقع المعاصر، وجل القضايا التي عالجها منذ بداية كتاباته تعمق بها بشكل تسلسلي في كل تدخل لاحق، ضمن موضوعات جديدة، كما أضاف مفاهيم أخرى لكي تكتمل رؤيته، ومن المفاهيم العديدة في قاموسه الفلسفي، تبرز مفاهيم الحقيقة، والسلطة، واللغة، والمعرفة، والخطاب.

لقد رفض فوكو الصرامة التشكيلية للبنيوية وتأكيدها على أن يتم تصنيف كل شيء بإحكام وفقاً لدوره داخل النظام، وأكد اهتمامه بالعامل المهيمن من خلال دراسته للسلطة التي تخلق الأنظمة الاجتماعية وتحافظ عليها، إلا أنه يرى أن خلق مثل هذه الأنظمة يتضمن تهميشَ واستبعاد بعض الجماعات الاجتماعية المستضعفة باسم "النظام"، وأصبح الشغل الشاغل لهذه الجماعات دراسة أبحاث فوكو التاريخية، بمثابة جدول الأعمال غير الظاهر لحين إخراجه للسطح، والبحث والتنقيب في (لاوعي) السلطة[٢].

لقد صرح فوكو في أحد دروسه التي كان يلقيها في الكوليج دي فرانس سنة ١٩٨١-١٩٨٢ أن الحقيقة لا تعطى للذات دون مقابل، فهناك ثمن لها، وتصبح كينونة الذات

(١) دولوز، جيل، **المعرفة والسلطة: مدخل إلى قراءة فوكو**، ترجمة: سالم يفوت، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٧)، ص ١١٣.

(٢) سيم، ستيورات، وبورين فان لوون، **النظرية النقدية**، ترجمة: جمال الجزيري، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥)، ص ١٠٣.

نفسها موضع لعبة ورهان[١]، كما يبدو من هذا التصريح لا يمكن للذات أن تصل الحقيقة دون ثمن، بل يجب عليها أن تدفع ثمنًا مقابل إجراء عملٍ منتقًى على نفسها لكي تكون قادرة على بلوغ الحقيقة[٢]. يمكن القول إن ما تمارسه السلطة على الحقيقة هدفُه أن تفرضها على المجتمع بالصورة والشكل الذي تراه مناسبًا لسياساتها وأهدافها، فهذه الحقيقة من وجهة نظر السلطة.

يؤكد فوكو أن الحقيقة ليست خارج دائرة السلطة وليست دون أي سلطة، وليست مكافأة أو عقابًا للإنسان المفكر والحر، ولا هي حكر على الأفراد والجماعات الذين أتقنوا التحرر من جميع الالتزامات. فهو يقول: "الحقيقة هي من هذا العالم؛ وتنتج فيه بفضل الزامات عدّة"[٣]. وتتمتع بتأثيرات منتظمة للسلطة، وكل مجتمع له نظامُ حقيقة خاص به، سياسته العامة، وآليات ومؤسسات لها القدرة على التمييز بين المنطوقات الصادقة والخاطئة، بمعنى أنها شكل من الخطاب، تفرضه السلطة على المجتمع وتحوله لخطاب حقيقية مصحوب ببعض المصطلحات التي تطلقها السلطة على جماعات أو أحزاب معادية لها.

كما يتميز الاقتصاد السياسي للحقيقة في مجتمعات كمجتمعاتنا بعدة ميزات مهمة تاريخياً، تتمثل في أنها ترتكز على المؤسسات التي تنتج شكل القول العلمي، وتخضع للتشجيع السياسي والاقتصادي المستمر، وتتبع لعدة أشكال مختلفة وتتداول عبر وسائل الاتصال والإعلام التي تتبنى توجهات وآراء السلطة وتمر ضمن عملية توزيع واستهلاك تحت عدة أشكال، ولا يمكن أن يتم تداولها إلا تحت إشراف ورقابة السلطة المهيمنة، وهي عبارة عن رهان يدخل ضمن الصراعات الأيديولوجية. كما يؤكد فوكو أن هناك معركة "من أجل الحقيقة" أو في أشكال مختلفة

(١) فوكو، **تأويل الذات**، ص ٢٤.

(٢) علاء الدين، غسان محمّد، المساءلة الإتيكية لعلاقة الذات بالحقيقة عند ميشيل فوكو، (سوريا: **مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية**، ٢٠١٩) ٤١(٦)، ٣٤١.

(٣) فوكو، ميشيل، **الحقيقة والسلطة في حوار أجراه معه م. فونتا**، (بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٠)، ع(١)، ص ١٣٦-١٣٧.

حول الحقيقة، إذ يؤكد أنه لا يعني بكلمة الحقيقة "مجموعة الأشياء الصحيحة التي يجب اكتشافها أو جعلها مقبولة، با إنها عبارة عن مجموعة القواعد التي بها يفرق الصحيح عن الخطأ ويلحق بالصحيح آثار سلطوية نوعية"؛ ويضيف أن الموضوع ليس عبارة عن معركة لصالح الحقيقة، بل هي مرآة الحقيقة والدور السياسي والاقتصادي الذي تمثله(١).

المفكر العربي علي حرب يقول إن البحث عن الحقيقة يكون من خلال صحة المعارف ومطابقة الأحكام وبداهة التمثلات، لكن الاتجاه السائد في البحث عن الحقيقة أصبح يتمحور حول العلاقة بين المعرفة وموضوعاتها أو بين الخطاب وآلياته، وعليه فالحقيقة في الخطاب الفلسفي المعاصر فقدت معناها المعرفي واليقيني والوثوقي الثبات والجوهري، وأصبحت تفهم وتتداول من خلال مفهومات مغايرة كالسلطة والممارسة، والحقيقة مع العلم لم تعد مرتبطة بالحتمية والبداهة بل تعود للصدفة والافتراض واللانظام(٢).

ومما سبق يمكن القول أن فوكو يرى إن الحقيقة مرتبطة بأنظمة السلطة التي تصنعها وتساندها، كما أنها تتبع مفعولات السلطة التي تتولد عنها وتسوسها، هذا هو نظام الحقيقة، ويعتبر هذا النظام أحد الشروط التي تكوّن وتطور الرأسمالية، أي أنه ليس عبارة عن أيديولوجيا أو تتبع إلى البنية الفوقية للمجتمع(٣)، إلا أن فوكو لا يتبنى تخليص الحقيقة من جميع منظومات السلطة، لأن ذلك وهم بصري ما دامت الحقيقة ذاتها السلطة، ويجب فصل سلطة الحقيقة عن أشكال الهيمنة الاجتماعية والثقافية، التي ما زالت تعمل في دائرتها ولصالحها. وما يريد أن يؤكده فوكو أن العملية السياسية ليست هي الأيديولوجيا أو الوهم والزيف والفكر المستلب، بل هي الحقيقة ذاتها.

(١) فوكو، **الحقيقة والسلطة في حوار أجراه معه م. فونتا**، ص١٣٦-١٣٧.

(٢) حرب، علي، **النص والحقيقة نقد الحقيقة**، (بيروت: المركز العربي الثقافي، ١٩٩٣)، ص ٩١.

(٣) إن فوكو هنا يعارض في طرحه طرح لوي ألتوسير (٢٠١٤) الذي يعتبر أن خطاب السلطة هو خطاب أيديولوجي له آلياته المحكمة، وهذا النقاش جزء من النقاش الذي خاضه اليسار الفرنسي في بداية السبعينات، وبعد قمع الثورة الطلابية.

ثالثًا: الثلاثية الحاكمة المعرفة والسلطة والقانون:

لقد حاول فوكو تأكيد العلاقة بين كلٍّ من السلطة والمعرفة والقانون، فهو ينطلق من هذه الثلاثية الحاكمة لمنهجيته الفلسفية، ويحلل التاريخ انطلاقاً من عملية تحليل الثلاثية الحاكمة، ثم طرح السؤال التقليدي في الفلسفة السياسية، كيف ترى الفلسفة أن خطاب الحقيقة المتميز يمكن له أن يثبت حدود وحق السلطة؟ واستبدله بسؤال واقعي ومعاصر وطرحه بهذه الصيغة: ما القواعد القانونية التي تقيمها السلطة من أجل إنتاج خطاب أو خطابات الحقيقة؟ وما نمط هذه السلطة القادرة على إنتاج خطابات الحقيقة التي هي في مجتمع كمجتمعنا وما تحمله من آثار مشحونة بآثار وقوى وقدرات السلطة؟ وما يريد أن يقوله فوكو أن علاقة السلطة في أي مجتمع متشعبة ومخترقة ومنتقاة.

نقد فوكو الهيمنة وجميع أشكالها التي رافقت العقل الغربي ووصفها بممارسة السلطة والقوة والهيمنة، وأنها لا تؤمن بالحرية التي تتغنى بها، وباتت السلطة تسيطر بشكل كلي على وجود البشر، ويتحدث عن المعرفة ليس من باب الخلق والابتكار، بل من باب توظيف التنويع والتشكيل، وهي المحكومة عن طريق قواعد تؤدي عملها بطريقة قبلية ضمن حدود تاريخية بحتة، ثم إن الأركيولوجيا لا تعدو تاريخ الفكر بمعناه المعتاد، بل شروط إمكانه، بمعنى: دراسة الأرضية المعرفية التي تحكم قوانين انبثاقه، ورفض معنى السببية التي تتصل بين ظواهر التكرار والتشابه، لأنه يمكن تماثل مجموعة من الوقائع المتناثرة حول مبدأ رئيس[١].

وقد بدأ فوكو الحديث عن منهجه الجينيالوجي الجديد الذي تأثر به من نيتشه "جينالوجيا الأخلاق"، حيث عمل على إبراز جميع الجوانب التكوينية والوضعية للمؤسسات والتنظيمات والطرق التي تستخدمها السلطة ودورها المهم والفعال في تأسيس الممارسات الفكرية، التي ارتبطت بها العلوم الإنسانية. وطبّق مفهومه الإنتاجي للسلطة على دراسته عن

(١) الكردي، محمد علي، **قضايا ووجوه فلسفية، بطاي– فوكو– ديدرو**، (الإسكندرية: دار ومطابع المستقبل، ٢٠٠٢)، ص ٦١.

نشأة السجون سنة ١٩٧٥م: أن يربط عمليات التنظير الفكري في الغرب بواقع الحياة الاجتماعية وتوجهاتها الاستراتيجية الأساسية لبناء الدولة الليبرالية الحديثة. واعتبر أن الممارسات المعرفية وما ينتج عنها من علوم اقتصادية ونفسية لها علاقة مباشرة بالتقنيات المبتكرة من قبل السلطة التي تشكل المعرفة وتنتج الخطاب، وشبكة تتخلل الكيان الاجتماعي كله للتأثير على الأفراد وتطويعهم(١).

ويَعتبر فوكو أن ثلاثية السلطة والمعرفة والقانون هي الحاكمة والمؤثرة في جميع المجالات المعرفية والعلمية، إلا أنها تتمثل في علاقتها مع المجتمع والإنسان على شكل آليات مراقبة، ويمكن تطبيق ما يقوله هنا على آليات المراقبة التي تتبعها السلطة اليوم حيث أصبحنا مكشوفين ومراقبين من قبل أجهزة الاتصال التي تراقب كل ما نقوم به. وبناءً على ذلك ينظر فوكو للثلاثية الحاكمة من منظور آخر على النحو التالي:

١- **السلطة:** على الرغم من التعريفات المتعددة لها، إلا أن فوكو أخذ بعداً آخر في تعريفه للسلطة حيث استبعد التصورات التقليدية والنظريات السابقة، أي أنها الاستراتيجيات التي بواسطتها تعمل موازين القوى عملها وفعلها، والسلطة ليست السلطة السياسية فقط، وهناك سلطة لكل شيء في المجتمع: سلطة مؤسسات وسلطة معرفية واجتماعية ودينية، وهناك مجموعة كبيرة من أنماط السلطة، وهذه الأنماط تؤثر على تفكير الأفراد بشكل مباشر أو غير مباشر، وإن تأثير السلطة غير المرئية أكبر من تأثير السلطة المرئية(٢).

٢- **المعرفة:** كان فوكو يرى السلطةَ موجودةً في المجتمع كله، وتعتمد على نمط كامل من العلاقات السلطوية والتنظيمية وحولت أماكن المعرفة لثكنات عسكرية، وهي موجودة في المدرسة عندما تقوم بقمع الطلاب بشكل معين لكي يكونوا مواطنين صالحين

(١) تشومسكي، وفوكو، **عن الطبيعة الإنسانية**، ص ١٨٤-١٨٥.

(٢) فوكو، ميشيل، **جينالوجيا المعرفة**، ترجمة: أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي، (المغرب: دار توبقال للنشر، ١٩٨٨)، ص ٧٧-٧٨.

وتغرس في عقولهم بعض الأفكار لتطبيقها، وكان يجدها في المستشفيات، وكانت تطبق بعنف ضد بعض المرضى وخاصة المرضى العقليين، وطبقت كذلك في السجون ضد المساجين، حتى لو لم يكونوا مجرمين(١).

فيما بعد أكد فوكو أن السلطة أصبحت تمارس القهر والعنف والتعذيب، ولكن على الأرواح والعقول والنفسيات وليس على الأجساد، بشكل غير علني، ويعتبر تقريباً أن النتيجة واحدة، بل أكثر قهراً وتحكماً وتسلطاً على الناس، ولكن بطريقة ناعمة(٢).

٣- **الحق أو القانون:** يشير فوكو أنه يجب دراسة وفهم وتحليل السلطة تصاعدياً، لأن السلطة تظهر وتتجلى في المستويات السفلى، وأكد أن الانتماء الأساسي للحقيقة هو علاقة القوة، ويعد الخطاب التاريخي والسياسي ترسيخًا للقانون والحقيقة والحق، وذلك انطلاقاً من علاقات القوة والعمل على استقرار وتطوير هذه العلاقات من خلال إقصاء الذات المتحدثة أو الذات التي تتحدث عن القانون والباحثة عن الحقيقة الكونية والقانونية والفلسفية، وهذا ليس في الوضعية التي تمناها وحلم بها صولون Solon كانط، بمعنى: تأسيس نظام يمكن له أن يخدم الجميع، بل من أجل ذلك تم صناعة قانون محكوم باللاتماثل(٣)، والعمل على تأسيس حقيقة مرتبطة بعلاقة القوة، وهو أن الحقيقة تفرضها السلطة على المجتمع وهي بمثابة سلاح وقانون خاص ولها شرعية والخطاب الحقيقي بالنسبة لها هو الذي يتبنى آراء وأفكار وتمرير سياسة السلطة، ويحمل في طياته قواعد قانونية، وآليات السلطة، وآثار الحقيقة وسلطة خطاب الحقيقة.

وهنا يأتي دور رجال القانون في التعاطي وتمرير الحقيقة التي تفرضها السلطة(٤). وقد

(١) فوكو، **تاريخ الجنسانية، إرادة المعرفة**.

(٢) فوكو، المرجع نفسه، ص ٣١.

(٣) فوكو، **تأويل الذات**، ص ٧٣-٧٤.

(٤) فوكو، ميشيل، **مولد السياسة الحيوية**، ترجمة: الزواوي بغوره، (الدوحة: دار منتدى العلاقات العربية والدولية للتوزيع =

أسست السلطةُ الفكر القانوني والحقوقي من أجل مصلحتها وللحفاظ على بقائها وفرض الحقيقة التي تريدها السلطة عن طريق القانون بإعطائها شرعية قانونية لكي يتم فرضها على المجتمع(١)، وهذا بدوره يقودنا إلى أن الإنسان لا يسيطر على أي شيء في هذا العالم، فهو يسيطر فقط على العالم الصغير بين أيديه. ويعتبر كل هذه الخطابات المختلفة نفس الخطاب ونفس الأدوات المستخدمة في الخطاب. يكشف فوكو بهذه الثلاثية زيف السلطة وهيمنتها وتأثيرها.

من اللافت للانتباه في تحليلات فوكو للمعرفة والسلطة أنه يعتبر المعرفة نتيجةً تراكمية تاريخية، ملغياً عنها صفة الابتكار والإبداع، ويعتبر أن السلطة تتشكل من عمليات ملتوية، حيث كان فوكو يتجاهل اللحظة الخاصة للعلماء على أساس أنها تعطي المعرفة قيمة مبالغًا فيها، ويشبه ذلك بالتمثيل حول تصور نيوتن للجاذبية، ويقول فوكو: هذه ليست ذات أهمية باعتبار أن تاريخ العلوم ينتابه كثيرٌ من المشكلات(٢).

كان فوكو مشغولاً في الأشياء المخفية والمكبوتة، وبيان آلية التحولات العلمية التي أوضحت شيئاً كان موجودًا وتخفي ما كان موجودًا، ويعتبر أن العلماء نوع من أنواع التبشير العلمي وهذا يفقد العلم جوهره لأنه برأيه يحكم العلم في اتجاه معين ولا يفتح أي آفاق واحتمالات مطلقة، والحقيقةُ غيرُ قادرينَ على الوصول إليها.

أثناء مقابلة على التلفزيون الهولندي أجريت مع نعوم تشومسكي وفوكو، أكد الأولُ أننا من خلال المعرفة الغريزية نستطيع استخلاص المعرفة المركبة والمعقدة من أصل البيانات الجزئية، وتعد أحد المكونات الرئيسة للطبيعة الإنسانية، وهذا هو السبب الأساسي الذي تشكله اللغة، بينما أكد الثاني أنه لا يثق في الطبيعة الإنسانية، لأنه يؤمن أن المبادئ والأفكار التي يستخدمها العلم لا تمتلك نفس الوضوح، ولا تملك الوظيفة ولا النمط نفسه

=

والنشر، ٢٠١٨)، ص ١١.

(١) Foucault, M., **Truth and Juridical Forms**, Trans: Lawrence Williams & Catherine Merlen, (Arizona: Arizona State University, 2011), p 11.

(٢) مخلوف، شاكر، مقاربة إبستمولوجية لفكر ميشيل فوكو، (الجزائر: **مجلة الحوار الثقافي**، ٢٠١٦)، ٦(١)، ص ٨٥.

المطبق في الخطاب العلمي[١]. ويتضح من هذا التصريح الخطير الذي أقر به فوكو أنه لا يعطي أي أهمية أو اعتبار للقيم الإنسانية.

هنالك العديد من المفكرين الذين رفضوا أفكار فوكو، وعارضوا منهجيته الفلسفية وما نتج عنها، إذ شدهم لذلك أسلوبه الذي اعتبروه غريبًا عن البحث الفلسفي والتاريخي، وقد رأى هيدن وايت Hayden White (١٩٢٨–٢٠١٨) أن نثر فوكو لا يتماشى مع التفكير العلمي، ويرى أن القصد من وراء كل ذلك بعد أيديولوجي يهدف إلى إغلاق الباب أمام كل نقد محتمل يخالف وجهة نظره حول أعماله، وكان قصد فوكو من وراء دمج المصطلحات العلمية والأسطورية هو إخفاء خطابه لئلا يتعرض لأي نقد يستند لمبادئ أيديولوجية تتعارض مع مبادئه، حيث يصعب تحديد الموقف الأيديولوجي نفسه لفوكو، وإن كان فوكو يكره الاعتماد الذي تستند عليه الفلسفة المحافظة على التراث، فهو في نفس الوقت يحتقر الليبرالية بسبب ميولها إلى خدمة الوضع الاجتماعي القائم، ويصف اليسار الفوضوي بالصبيانية، ويعود سبب ذلك لما يعلقه من آمال على المستقبل، وموقفُه الفلسفي متقارب مع عدمية نيتشه التي تقول "بجنون كل حكمة، وحماقة كل معرفة"[٢].

هناك عملية تمكن الأفراد من حكم الآخرين ويحكمون أنفسهم عبر إنتاج الحقيقة وممارستها. يعني ذلك تنظيم وتهيئة الأماكن التي من خلالها تتم عملية ممارسة ما هو حقيقي وغير حقيقي، أي أن القائم بهذه الممارسات النوعية ما يعطيها مظهرها الأساسي، لتبين بأنها نظم حقوقية وقضائية مختلفة، مع إعطائها الشرعية القانونية باعتبارها صحيحة، فنحن أمام هياكل واضحة وتعليمات مدروسة ومعقلنة، وبناءً عليها تلتزم المؤسسات في تنظيم نفسها وترتيب الأماكن وضبط سلوك أفرادها حيث تعتبر بذلك عبارة عن "تكنلوجية ترويض الإنسان" ومراقبة سلوكه، وهو تقييد وتنظيم يتجسد في الواقع في شكل انضباط، كالمدرسة ومؤسسة الجيش والجامعات،

(١) تشومسكي، **عن الطبيعة الإنسانية**، ص ٢٢–٣٢.

(٢) وايت، هيدن، **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، ترجمة: محمد عصفور، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦)، ع(٢٠٦)، ص٩٧–٩٨.

يرسخ لدى الأفراد مجموعة من التأثيرات التي تبلورت لديهم من خلال المؤسسات، وامتدت إلى أن وصلت إلى سلوكيات الأفراد أنفسهم، وتأخذ دورها "كشبكة رموز"؛ هذه الشبكة هي التي يستعان بها كمؤشر لرؤية كل شيء ومصداقيته(١).

ويمكن القول إن كل هذا يتم بتطبيقه من قبل سلطة الدولة على المجتمع من خلال تقنينه وفرضه كحقيقة. فوكو يؤمن بالحقيقة، ولكن الحقيقة بالنسبة له يصعب قولها لأن هناك كثيرًا يُخفيها، ولكنها ستبقى موجودة ومن المحتمل أن نجدها، ولكنْ يجب علينا أن نؤوِّل لنصل إلى الحقيقة.

رابعًا– الخطاب وسلطة الخطاب:

يحتل الخطاب مكانة محورية في فكر وفلسفة فوكو، فعندما يتطرق للسلطة لا بد من أن يتطرق للخطاب، لكنه يتخذ من مفهوم الخطاب طريقة مركزية في فكره، وهو المسكوت عنه، والحقيقة والسلطة والإرادة، ويؤكد أن الخطاب يجب أن يكون العنصر الشفاف أو المحايد الذي يجرد فيه الجنس من سلاحه، وتكتسب فيه السياسة طابعًا سلميًّا، لكنه أصبح الركن الأساسي الذي تمارس السلطة به هيمنتها وسطوتها وتأثيرها بشكل أفضل، ويبدو أن الخطاب في ظاهره شيء بسيط، لكن أشكال المنع التي تلحقه تكشف باكراً وبسرعةٍ عن ارتباطه بالرغبة والسلطة(٢).

وأصبح كل مجتمع لديه منظومة تقوم بفرض أشكال متعددة وممنهجة للرقابة على الخطاب، إذ يؤكد فوكو في فرضيته أن إنتاج الخطاب في أي مجتمع هو إنتاج مراقب ومنظم ومنتقًى، وتوزيعُه معاد من خلال عدد من الإجراءات التي يكمن دورها في الحد من سلطاته ومخاطره والسيطرة في حدوثه المحتمل وإخفاء مادته الثقيلة والرهيبة، وهناك سلطة متخفية في الخطاب بشتى أنواعها: سياسية أو ثقافية أو أدبية أو فنية(٣)؛ لأننا أصبحنا على يقين أنه

(١) نور الدين، مصطفى، الحقيقة والسلطة عند ميشيل فوكو، (القاهرة: **مجلة الديمقراطية، ٢٠١٨**)، ١٨(٧٢)، ص ٩٢.

(٢) فوكو، **نظام الخطاب**، ص ٥.

(٣) فوكو، **نظام الخطاب**، ص ٤.

ليس لدينا الحق في قول كل شيء، ولا يمكن لنا أن نتحدث عن كل شيء، وإذا كان لدينا أي موضوع فمن المحرمات الحديث عنه، لأن هناك طقوسًا خاصة بكل الظروف، والخصوصيةُ والامتيازات الممنوحة للذات ما هي إلا أحد الألاعيب الثلاثة من إجراءات المنع والخطاب، ليس ما يترجم الصراعات أو أنظمة السيطرة، لكنه ما نصارع من أجله(١).

لكن نظام الخطاب يبدأ برسم التخوف من الخطاب نفسه، ذلك التخوف الذي يعكس حقيقة قوة وسلطة الخطاب وما يشكله من تأثير على المجتمع، والتخوفُ من الخطاب تبديه السلطة ومؤسساتها. والعودة لأي خطاب لإعادة اكتشافه تسهم في تعميق فهمنا والوصول للحقيقة الموجهة منه وإعادة النظر في المشكلات الخطابية التي تحمل في ثناياها التضليل والخداع(٢). والخطاب الممارس من قبل السلطة لفرض الحقيقة التي تريدها، يجب تأويله تأويلاً حقيقياً، وإذا تحقق يكون إنجازاً فكرياً، فتأول الحقيقة هو الوقوف على حقائق جديدة وفهمُ وعيٍ جديد للماضي والحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

يعرف فوكو الخطاب أنه ميدان رحب، يتكون من مجموعة من العبارات الفعلية، ملفوظةً أو مكتوبة، في تبعثرها كأحداث، وفي اختلاف مستوياتها. وقبل أن نتناول بثقةِ نفس علماً من العلوم، أو بعض الروايات، أو الخطابات السياسية، أو عمل مؤلف ما، أو كتابًا من الكتب، فإن المادة التي يتم التعامل معها على أساس "حيادي"، هي على العموم عبارة عن ركام من الأحداث داخل فضاء الخطاب، ومن هنا يصور مشروع وصف الأحداث الخطابية كأفق للبحث عن الوحدات التي تتشكل في الخطاب(٣).

وبالحديث عن التشكيلات الخطابية باعتبارها وحدة خطابية بالعلاقة التي تقيمها بالخطاب والمنطوق، فنحن ننتمي لمجموعة مسميات لا مجموعة حالات، فالقدرة على

(١) الحويك، حياة، **المسكوت عنه في الإعلام الغربي الإعلام الفرنسي المكتوب نموذجاً**، (بيروت: منتدى المعارف، ط١، ٢٠٢١)، ص ٦٩.

(٢) حرب، علي، **التأويل والحقيقة**، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠٠٧)، ص ٢١.

(٣) فوكو، **تدبير الحقيقة**، ص ١.

التسمية تعني القدرة على التصنيف والتشكيل. وكل تحول يؤدي إلى تشكيل خطابي، فالعبارات المختلفة الأشكال والمبعثرة في الزمان تشكل مجموعاً واحداً وترجع بصورة أو بأخرى إلى ذات الموضوع وتحيل نفسها عليه، كما أن العبارات بوصفها أحداثاً خطابية تنتظم داخل ما يسميه فوكو التشكيلات الخطابية(١).

إن جميع الآليات والإجراءات التي يطبقها المجتمع والسلطة من أجل عملية مراقبة الخطاب، هي بالأساس تهدف لتحقيق هدف واحد وأساسي، هو الحد من سلطة الخطاب وما يحمله من قوة وقدرة تتضمن العديد من المخاوف والمخاطر(٢). وقد صنف فوكو هذه الآليات والإجراءات التي تتفرع منها ثلاثة إجراءات فرعية سوف نتطرق لها، وهذا بدوره يساعدنا على معرفة الأشكال المختلفة التي تراقب الخطاب، وهذا ما يهم بحثنا في علاقة الخطاب بالسلطة، فهو وسيلة الوصول للسلطة: صناعة خطاب متماسك وقوي، له القدرة على الإقناع والتأثير وفرض ما يريد. والخطاب هو بحد ذاته سلطة، فكل من يصل إلى أي سلطة يسعى إلى تطبيق خطابه وفرضه على المجتمع.

أولاً– الإجراءات الخارجية:

لقد اعتبر فوكو أن آليات الإقصاء المتمثلة في المنع والتقاسم والرفض، تقابل الصح والخطأ، وتمارس هذه الإجراءات من خارج الخطاب، الأولى هي المنع، هي المألوفة أكثر. ويقول فوكو: ليس لدينا الحق في أن نقول كل شيء؛ هناك مواضيع لا يمكن لنا الحديث عنها، مواضيع محرمة: السياسة والدين والجنس، ولا أحد يمكنه أن يتحدث عن أي شيء، وهذا ما لخصه فوكو بـ"تابو الموضوع– طقسية الظروف– الحق المطلق والحصري للذي يتكلم"(٣)، وهناك إجراء ثان هو التقاسم والرفض ويتم تقسيمه إلى خطاب العقل وخطاب

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٠.

(٢) بغورة، الزواوي، **الخطاب بحث في بنيته وعلاقته عند ميشيل فوكو**، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠١٥)، ص ١٢٣.

(٣) الحويك، **المسكوت عنه في الإعلام الغربي الإعلام الفرنسي المكتوب نموذجاً**، ص ٦٩.

الجنون، حيث يقوم بكل ذلك ليصل إلى أن موضوع التطور الحاصل في هذه العملية يأتي مثقلاً بكمٍّ كبير من المأسسة وبذلك يكفي أن نقول أننا من خلال كل ترسانة المعرفة نعمل على فك شيفرات الكلام، وأن نفكر بالشبكة المؤسساتية التي تمنح أحدهم أن يصغي للكلام بطريقة ما(١).

وإلى جانب هذه الإجراءات، هناك آلية ثالثة متمثلة في إرادة الحقيقة التي تبين ما هو حقيقي وما هو خاطئ داخل خطاب أو ثقافة معينة، ويعرفها فوكو بأنها "مجموعة من الآليات الهائلة"؛ مهمتها إبعاد كل من حاول من نقطة إلى أخرى ضمن تاريخنا تطويق الحقيقة ووضعها موضع سؤال ضد الحقيقة، وتعتمد على الدعم من أجل ممارسة نوع من الضغط على الخطابات الأخرى، حيث يراها فوكو بأنها الأكثر صلابة لأنها تشكل سلطة قوية تمارس ضغطاً شديداً على الأشكال الخطابية(٢)، ويعتبر فوكو الخطاب الحقيقي هو الخطاب المحرر من السلطة ولا يمكن له أن يتعرف على إرادة الحقيقة التي تخترقه، وإرادة الحقيقة هي من فرضت نفسها علينا منذ مدة طويلة، لكي تفرض الحقيقة التي تريدها.

يمكن القول إن هذه الإجراءات والآليات هي في الأساس سلطوية من أجل مراقبة الخطاب من الخارج لكي تقوم بالتأثير والهيمنة على المجتمع وفرض الحقائق التي تراها السلطة. وإن الإجراءات الخارجية مهمتها مراقبة الخطاب من الخارج، وهي منظومة الأبعاد الثلاثية المتعلقة بالسلطة والرغبة(٣). نحن الذين نمارس المنع بتحديد المواضيع المقبول الحديث عنها، ونحن من نمارس القسمة والرفض، كما أننا نضع التصنيف الحقيقي والخاطئ.

ثانياً– الإجراءات الداخلية:

وهي التي تعتني بالخطاب، كما أنها تمارس مراقبتها الخاصة عليه، وهذه الإجراءات تعمل على شكل مجموعة مبادئ للتنظيم والتصنيف والتوزيع، للتحكم في بعد آخر من أبعاد

(١) المرجع نفسه، ص ٧٠.

(٢) ولد اباه، **التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو**، ص ١٧٦.

(٣) فوكو، **نظام الخطاب**، ص ٩.

الخطاب وهو بعد الصدفة والحدث، ومن هذه الإجراءات ما سماه المبدأ الأول (التعليق)، ويشير أن لكل ثقافة نصوصًا أساسية تقوم بقراءتها وتأويلها وإعادة قراءتها، ويعود هذا المبدأ إلى علاقة اعتماد بين مجموعة من الخطابات وبين الخطاب الأصلي، حيث تقوم الخطابات بتكرار الخطاب الأصلي بطرق متنوعة وإعادة إنتاجه بأشكال مختلفة، وينحصر مبدأ التعليق في قول ما قد قيل من قبل وتكراره دون ملل، خاصة إذا تعلق الأمر بنصوص دينية أو قانونية أو أدبية(١).

والمبدأ الثاني من هذه الإجراءات ما سماه (موت المؤلف) وهذا يعني التخلي عن فكرة المؤلف والعودة مباشرة إلى الخطابات. يحاول فوكو في كل مرة أن يبرهن على أن المهم ليس المؤلف، بل الخطاب، حيث يقيد هذا المبدأ الخطاب تقييدًا خفيًّا، ولا توجد خطابات بدون مؤلفين، كالأحاديث اليومية والمراسيم والعقود والخطابات العلمية، التي لم تعد تستند إلى مؤلف بعينه(٢).

أما بالنسبة للخطابات الأدبية والفلسفية فما زالت تعتمد على صيغة المؤلّف، لكن هذا الاعتماد في نظر فوكو، يتجاهل الوظائف الاجتماعية للمؤلف. ومن العبث إنكار جهود الفرد المبدع والكاتب، لكن المؤلف يحقق وظيفة اجتماعية هدفها الأساسي هو الحد من سلطة الخطاب عن طريق لعبة الهوية التي تتخذ أسلوب الفردية وأسلوب الأنا(٣).

موقف فوكو من المؤلّف قريب من موقف صديقه رولان بارت (١٩١٥-١٩٨٠) الذي أعلن عن موت المؤلف باسم النص، لأنه يرى أن المؤلّف وليدة المجتمع الغربي وحديث النشأة، والموقفُ من المؤلف عند فوكو وبارت نتيجة ما أملته التأثيرات البنيوية ومفهومها

(١) بغورة، **الخطاب بحث في بنيته وعلاقته عند ميشيل فوكو**، ص ١٢٤.

(٢) فوكو، **نظام الخطاب**، ص ١٨.

(٣) فوكو، ميشيل، **ما معنى المؤلف في كتاب القصة الرواية المؤلف**، دراسات في نظرية الأنواع المعاصرة، ترجمة: خيري دومة، (القاهرة: دار شرقيات، ١٩٩٧)، ص ٢٠٢.

للغة، وموقفها من الذات[١]. أما الإجراء الثالث فهو الذي يساهم في تشكيل الخطاب والمتعلق بـ(الفرع المعرفي) حيث يعمل للحد من سلطة الخطاب عن طريق فرضه مجموعة من المعايير بانتماء القضايا إلى حقله أو إبعادها عن مجاله، وهو يعكس بصورة من الصور إرادة الحقيقة، ويعد الخطاب في هذا الحقل خاضعًا للمراقبة بواسطة قواعد معينة ليست عفوية ولا مجانية، بل هي تنم عن مبدأ خفي للتنظيم[٢].

وتتطلب الكتابة داخل أحد الحقول المعرفية الالتزام بعدة أمور منها: ضرورة الالتزام بالمنهجية العلمية للحقل، واحترام الأدوات والتقنيات التي يستخدمها الفرع المعرفي، حيث شدد فوكو على أهمية الفروع العلمية في رسم معنى الخطاب واضحًا، لدرجة أنه كان يسمي الخطابات التي لا تندرج ضمن أفق نظري لفرع علمي معين بمسخ المعرفة أو المعرفة الممسوخة[٣]. والإجراءاتُ الداخليةُ ما يهمها هو الخطاب نفسه وممارسة عملية المراقبة عليه وتتحكم في عملية توزيعه وتنظيمه وتحد من صدفيته وتبعثره.

ثالثاً– إجراءات الاستخدام والتوظيف:

يرى فوكو أن دور هذه المجموعة تحديد شروط استخدام الخطاب، والتقليل من عدد الذوات المتكلمة عبر تحديد من له الحق في إنتاج الخطاب، وتتكون هذه المجموعة من ثلاثة إجراءات كبرى وهي: جماعات الخطاب، والمذاهب الدينية والفلسفية والسياسية، والتملك الاجتماعي للخطابات، أما جماعات الخطاب فتعني الحفاظ على تداول الخطاب في نطاق ضيق وضرورة توفر مؤهلات وشروط محددة للدخول ضمن خطاب ما، وهناك شروط خاصة

(١) بارت، رولان، **درس السيميولوجيا**، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط٣، ١٩٩٣)، ص ٨٢.

(٢) الداوي، عبد الرزاق، **موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر هيدجر، ليفي ستروس، ميشل فوكو**، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٠)، ص ١٥٣

(٣) بغورة، **الخطاب بحث في بنيته وعلاقته عند ميشيل فوكو**، ص ١٢٦.

لدخولها وكأن الأمر يتعلق بوجود حراس حول كل مجال[١].

والإجراء الثاني يتمثل في الخطاب المذهبي والديني والفلسفي، مهمته تحديد شروط استخدام الخطاب ومراقبته، ومحاولة إدراج الخطاب ضمن خطوطها. وتؤطر هذه المذاهب بمختلف أشكالها الخطاب من خلال المنتمين إليها بنفس الحقائق ومحاولتهم التوافق مع الخطابات المصادق عليها[٢].

والإجراء الأخير يرتبط بالتربية، وهذا هو المفضل عند فوكو من هذه الاجراءات، لأن الفرد بفضل التربية المجتمعية يتمكن من الانخراط ضمن نوع من الخطاب، وقد اعتبر فوكو التربية نوعًا من التملك الاجتماعي للخطاب، والمنظومةُ التربوية لا يمكن فصلها عن الاستراتيجية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لمجتمع معين[٣]. ويشير فوكو أن هذه الإجراءات هي مجموعة من الحواجز التي تضمن حراسة الفضاء الخطابي والتقليل من الذوات المتكلمة، لأن كل مناطق الخطاب ليست مفتوحة بنفس الدرجة، وقابلة للاختراق بنفس الدرجة، فبعضها مقيد وممنوع علانية، في حين أن البعض الآخر يكون مفتوحاً أمام كل الأحداث ورهن إشارة كل ذات متكلمة دون أي حصر مسبق[٤].

وهذه الإجراءات هي النماذج الرئيسة التي تحدد وظيفة الخطاب وتداوله، كما أنها متعاونة مع المنظومة الخارجية والداخلية في مراقبة الخطاب والحد من سلطته.

ويمكن الإشارة هنا إلى أن ما أوردناه متعلق بالجزء المرتبط بين السلطة والخطاب من خلال ما قدمه فوكو؛ بأن هذه الإجراءات تستخدم لمراقبة الخطاب وهذا ما يهم بحثنا وخاصة المسألة المتعلقة بإحدى مشكلات الدراسة وهي ممارسة السلطة هيمنتها على المجتمع من خلال الخطاب

(١) فوكو، **نظام الخطاب**، ص ٣٣.

(٢) الهلالي، عبد المجيد، **الخطاب عند ميشيل فوكو**، (مؤسسة الحوار المتمدن، ٢٠١٧)، ع (٥٦٩٢)، تاريخ ٢٠١٧/١١/٨.

(٣) بغورة، **الخطاب بحث في بنيته وعلاقته عند ميشيل فوكو**، ص ١٢٨.

(٤) ولد أباه، **التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو**، ص ١٧٨-١٧٩.

وفرض الحقيقة التي تريدها السلطة.

وعند حديثنا عن الخطاب يشرع لنا باب الحديث عن الجسد الذي يتحكم فيه ويفرض عليه الكثير من القيود على اعتبار أنه وطن. فالجسد هنا عبارة عن مجال إنتاج النظام، ووطن من خلاله تعمل السلطة على فرض سلطاتها من خلال تكنولوجيا لغوية (الخطاب). أي أن السلطة تخط نصها على صحيفة الجسد من خلال الخطاب. فهي تظهر من حيث تغيب، وتحتفل بالجسد عن طريق السيطرة عليه، وذلك من خلال اقتناعه التام بالكلام. فيصبح بذلك أسيرًا داخل الخطاب[١]. ويؤكد فوكو هذا من خلال قوله: "إن الجسد الطيع هو ذلك الذي يمكن أن يستخدم، يمكن أن يحوّر، ويكمّل"[٢].

ومن هنا فإن قول الحقيقة يستوجب أن نتحرر من الخطاب، أي أن نتخلص من قواعده أو نستعملها بصرامة. إن الخطاب هو الشريك التقني والفني للقول الذي يهدف إلى إظهار الحقيقة[٣]، فإن طروحات فوكو ليست التنديد بالقيمة الحقيقية أو قول الحقيقة تماماً، لأنه يدعي أن المسألة الأساسية المركزية بالنسبة له هي مسألة النظام السياسي والاقتصادي والمؤسسي لإنتاج الحقيقة نظراً للأهمية السياسية، فهي تشير إلى طريقتين مختلفتين **هما:** مجموعة الممارسات التي ترتكز فيها عقلانية حكم الناس والتأثير عليهم عن طريق مجموعة معينة من ادعاءات الحقيقة وكيف يمكن لقول الحقيقة أن يتحدى علانية السلطة، ومن ناحية أخرى تظهر حالة الإقرار أنه يمكن للناس أن يكون لديهم أسباب غير معرفية لمقاومة البحث عن الحقيقة.

وفي كلتا الحالتين الأمر لا يتعلق بمعركة لصالح الحقيقة أو ضدها، فالمعركة حول مكانة الحقيقة والدور الاقتصادي والسياسي الذي تلعبه في كوكبة من الممارسات التي من

(١) الكبسي، محمد علي، (١٩٩٣) **ميشال فوكو تكنولوجيا الخطاب تكنولوجيا السلطة تكنولوجيا السيطرة على الجسد**، (تونس: دار سيراس للنشر، ١٩٩٣)، ص ٦٠.

(٢) ولد أباه، **التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو**، ص ١٩٩.

(٣) حيدوري، عبد السلام (٢٠١٧)، **فوكو وأنطولوجيا الحاضر من الانشغال الأنتربولوجي إلى الاضطلاع الإتيقي السياسي**، (المغرب: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٧)، ص ١٤٥-١٤٦.

خلالها يحكم الناس من قبل الآخرين ويحكمون أنفسهم[١]. ورغم أن هذا النقد يهدف إلى عدم خضوع الذات إلا أن هدف فوكو ليس هذا. فمن وجهة نظره أن سياسة الحقيقة ببساطة (فكرة ادعاءات الحقيقة) ليست أكثر من مجرد حقيقة تحرك القوة داخل ساحة المعركة، أو علاقات القوة هي من تحدد إذا كان هذا الادعاء صحيحًا أم خاطئًا.

والخطاب أداة من أدوات السلطة، مدعوم بمختلف الوسائل بدءاً من وسائل الاتصال والإعلام مروراً بـ(البوليس) والترويع، وانتهاءً بالجيوش والغزو، حيث يستمد شرعيته من قوتها، وفيه توظف السلطة آلياتها للتلاعب بدلالات اللغة، وإذا كان للسلطة أجهزة للقمع، ففي الوقت نفسه لها سلطتها الأيديولجية، للحفاظ على الوضع القائم وتثبيت حكمها، لا عبر القوة المباشرة أو القمع، بل عبر الإقناع من خلال ممارستها الخطاب[٢]. ففي فلسفة فوكو لا يمكن فصل مفهوم اللغة عن مفهوم الخطاب، ويعتبرهما من أشكال الممارسة الاجتماعية وأن الإنسان خاضع للعمل والحياة واللغة، فهي التي تحدد وجوده الواقعي ولا يمكن الوصول للإنسان إلا من خلال كلامه وجسده، أو الموجودات التي يوجدها إذ أصبحت وكأنها تمسك بالحقيقة، بينما لا يكتشف الإنسان نفسه حين يفكر إلا بصورة كائن هو في الأعماق الموجودة حتمًا خلف تفكيره والسابقة له قطعًا، فهو حامل لكلمات وجدت قبله[٣].

لكن اللغة أصبحت هي من تقول الحقيقة عنها، ولعل ما يلوح في أفق الإمكانيات القصوى للغة هو النهاية الوشيكة للإنسان، هذا الإنسان الذي حاول استخدام كل الكلام الممكن، واستنفد كل إمكانية للكلام[٤]. فاللغة ليست منغلقة في كلمة نهائية ولا تكشف حقيقتها إلا في خطاب لقول ما سيقوله، ولكن هذا الخطاب لا يملك سلطة التوقف عند نفسه وما يقوله،

(1) Lorenzini, D. & Tiisala, T., The Architectonic of Foucault's Critique, (**European Journal of Philosophy**, ٢٠٢٤), (32), p 114-129.

(٢) وهابي، نزيه، **أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الإعلامي**، (الجزائر: جسور المعرفة، ٢٠٢٠)، ص ٦٩.

(٣) فوكو، ميشيل، **الكلمات والأشياء**، ترجمة: مطاوع صفدي، (لبنان: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٩)، ص ٢٦٢.

(٤) دريفوس، ورابينوف، **ميشال فوكو: مسيرة الفلسفية**، ص ١١-١٢.

بل كأنه سيورث لخطاب آخر، واللغة هي من تعطي قوة التفتح والتجدد واللاتناهي، فإن قوة التشكيل في خطاب ما هي ما يحدد وضعيتها كما وصفها فوكو بأنها شيء غير شفاف، غامض ومغلق على نفسه ولكنها تختلق هنا أو هناك بأشكال العالم وتتشابك بها جيداً، إنها تلعب دور المحتوى والشارة وموضوعة العالم وتشكل جزءاً منه لأنه في آن واحد الأشياء نفسها تخفي لغزها وتظهر كلغة ولأن الكلمات تقدم نفسها للناس كأشياء يتوجب فك رموزها[١]. وأهم ما يميز اللغة أنها ظاهرة اجتماعية وتستخدم لتحقيق التفاهم والتواصل بين الناس وتدخل في شبكة الخطاب[٢].

يؤكد هربرت ماركوز (Herbert Marcuse) ١٨٩٨-١٩٧٩ أن أساليب التحكم والهيمنة تتجلى على الجمهور من خلال منظومة اللغة، إذ أصبحت أداة للسيطرة والهيمنة والقمع والتلاعب بالمعلومات وتوجيه الرأي العام، وتوظيفها لخدمة التضليل والتشويه الذي تمارسه السلطة من التقنيات التي يلجأ إليها مهندسو الأخبار وصانعو الخطابات في مؤسسات الإعلام[٣].حيث تأثر فوكو في فكر ماركوز حول الخطاب والسلطة واللغة. ويمكن النظر إلى طبيعة العلاقة بين اللغة والسلطة من **زاويتين: الزاوية الخارجية** وذلك عندما نعتبر أن اللغة في حد ذاتها كينونة قائمة تؤثر في السلطة. **والزاوية الداخلية** وهي عندما تكون اللغة في ذاتها تمثل سلطة. حيث تأثر فوكو في فكر ماركوز حول الخطاب والسلطة واللغة. وفي نظرية فوكو في تحليل الخطاب، يشكل الخطاب سلطة، ومفهومُه لا يمكن فصله عن مفهوم السلطة لأن الخطاب يستخدم اللغة، والخطاب هو اللغة في حالة حركة، كما يعني الخطاب من بين ما يعنيه ظهور اللغة في التواصل الحي والتأثير[٤].

وهناك وعي لدى السلطة بقيمة الخطاب لأن طبيعة العلاقة بينهما على المستوى اللغوي

(١) فوكو، **الكلمات والأشياء**، ص ٥٢.

(٢) يرويني، خليل، وحسيني، سيد حسن، سلطة اللغة وصناعة الحقيقة في فلسفة ما بعد الحداثة "قراءة في مجموعة تنبأ أيها الأعمى لأدونيس"، (إيران: **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ٢٠٢٠**)، ع(٢٩)، ص ٩٤.

(٣) ماركوز، هربرت، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ترجمة: جورج طرابيشي، (بيروت: دار الآداب، ١٩٨٩)، ص ١٢٦.

(٤) بغورة، الزواوي، **اللغة في حد ذاتها كينونة قائمة تؤثر في السلطة**، (الكويت: الراي، ٢٠١٠).

تأتي لفرض وإيصال المعنى بجدارة، كما تتحكم في الخطاب سلطة اجتماعية تراقبه وتملي عليه[١]. وهذا يتوافق مع قول بارت بتعدد أشكال السلطة وخطابها، والسلطة حاضرة في أكثر الآليات التي تتحكم في التبادل الاجتماعي، وفي الآراء الشائعة والأخبار والعلاقات الاجتماعية أيضًا، فبتعدد أنواع الخطاب تتعدد السلطات[٢]؛ وهذا ما أكده فوكو بقوله: "السلطة لا تنحصر في المؤسسات السياسية، إنها متعددة التوجه، وتعمل من أعلى إلى أسفل، والعكس صحيح"[٣].

والخطاب يبنى على الشبكة المنظوماتية الكبيرة، واللغة لا تولد على قاعدة الصمت، بل تولد على أساس الخطاب[٤]. ويؤكد فوكو أن الحقيقة مرتبطة عضوياً باللغة والمجتمع والثقافة، لأن الحقيقة في النهاية تخرج إلى الوجود حين يتم التعبير عنها، فالحقيقة تتجسد باللغة لأن اللغة أداة للتواصل وتتعدد باختلاف المجتمعات والثقافات الإنسانية، أيْ –وحسب ما يراه فوكو– فالحقيقة نتاج علاقات سلطوية تهدف إلى تحقيق الهيمنة والسيطرة، ولكل مجتمع نظام وسياسة خاصة في إنتاج الحقيقة إلا أن الحقيقة لها نظامها الخاص وشروط وآليات نصل من خلالها لإنتاج الحقيقة الذاتية، ففي كل مجتمع تتعايش الخطابات المتعددة، وعادةً ما يسود خطاب واحد الثقافة السائدة في المجتمع الواحد[٥].

وتعد اللغة من وجهة نظر الخطاب شكلاً من أشكال الممارسة الاجتماعية، بمعنى أن اللغة جزء من المجتمع وليست خارجة عنه، أي أنها خاضعة لسيطرة جوانب أخرى غير لغوية في المجتمع، فاللغة ليست مجرد انعكاس أو تعبير عن الممارسات الاجتماعية فقط، بل تستخدم وتوظف في النزاعات حول بعض المصطلحات السياسية، فالناس يتجادلون حول

(١) الزغول، سلطان، سلطة الخطاب بين ميشيل فوكو وإدوارد سعيد، (الكويت: **مجلة عالم الفكر، ٢٠٢٣**)، ع(١٩٢)، ص ٥١-٥٢.

(٢) بارت، رولان، اللغة والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، (المغرب: **مجلة الجابري، ٢٠١٦**)، ع(٦).

(٣) دريفوس، ورابينوف، **ميشال فوكو: مسيرة الفلسفية**، ص ١٦٦.

(٤) أبو سارة، جميل وشومر، توفيق، تأثير فلسفة اللغة في سياق الانتقال الحداثي عند ميشيل فوكو، (عمان: **المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، ٢٠٢١**)، ١٤(٢)، ص ٢٠٣.

(٥) فوكو، **الكلمات والأشياء**، ص ١١٤-١١٥.

بعض المصطلحات التي تفرضها السلطة ويتم إلصاقها في بعض الجماعات[١] بغية صناعة مصطلح محدد، إذ يتوجب من خلال ذلك بناء منطقة كاملة من المصطلحات، لأن كل مصطلح يتشكل من مجموعة من العناصر ومجموعة من العلاقات المختلفة، وهذا يعني أن المصطلح لا يتمتع بجميع العناصر والعلاقات[٢].

وبعد التطرق لطبيعة العلاقة بين اللغة والخطاب والسلطة، هناك أدوات للسلطة تمارس تأثيرها من خلالها، وإذا أخذنا بعين الاعتبار نظرة فوكو لأهم أدوات السلطة المتمثلة من وجهة نظره بشبكات التكنولوجيا المراقبة والانضباطية التي اعتبرها أهم أدوات هذه السلطة، والتي أصبحت تعرف اليوم بوسائل الاتصال والإعلام، فيجب أن ندرك أن الحقيقة خاضعة للسلطة وللمؤسسات الإعلامية التي تتبنى وجهة نظر السلطة وطبيعة العلاقة بينهما، وباتت هذه الوسائل اليوم تصنع الحقيقة وتفرضها على الجمهور، وليس بالضرورة أن كل ما ينقل عن هذه الوسائل حقيقي وموضوعي.

إن ظهور السلطة في المجتمع الإنساني انسجم مع ظهور وسائل الإعلام، فمنذ أن نشأ المجتمع أصبح بحاجة لسلطة تنظم شؤون أفراده، ولذلك أصبحت الحاجة للتواصل بين أفراد المجتمع أكثر، وهذا ما يؤكد أن الفعل كان بالتناوب بين السلطة ووسائل الإعلام، ولكنْ عندما أيقنت السلطة وتمحورت فكرتها على الهيمنة والتدخل في شؤون الآخرين وبسط سيطرتها على وسائل الإعلام صنعت السلطة مبررات لتلك الهيمنة على السكان وخلقت شرعية مؤيدة لها ضد الخصوم والمنافسين، حينها ولدت العلاقة بين السلطة ووسائل الإعلام لتدافع عن سياساتها، إذ تحولت وسائل الإعلام إلى أداة بيد السلطة القائمة لتبرير أعمالها وتصرفاتها أمام المجتمع[٣]. وبذلك نجحت السلطة في توظيف وبرمجة الإعلام واستخدامه للتكنولوجيا ومؤثراتها ليعكس أجندة توضع بعناية فائقة وتعتبر امتداداً لدراسات ميدانية

(١) فيركلف، نورمان، **اللغة والسلطة**، ترجمة: مُحَمَّد عناني، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٦)، ص ٤٢.
(٢) بغورة، الزواوي، **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو**، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠)، ص ١٦.
(٣) أبو زيد، فاروق، **الإعلام والسلطة**، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦)، ص ٢٦.

وإحصائيات ودراية بواقع أي مجتمع من المجتمعات.

وهذا يعبر عن الوسائل والطرق المتبعة من قبل السلطة لصناعة الحقيقة والإجماع(١). وهو ما أشار إليه تشومسكي في دور منظومة وسائل الاتصال التابعة للسلطات والشركات لصناعة علاقات عامة تؤيد توجههم، إضافةً للدور الرئيس للنخبة والأوساط الأكاديمية في توفير مناخ ملائم للجمهور والرأي العام؛ أطلق عليه مصطلح "الأوهام الضرورية" لتبرير هذا الوضع وإعطائه الشرعية، وكان هذا العمل منطقيًّا وخيرًا، إلا أن تشومسكي نقده واستهجنه لأنه لا يقدم أي نوع من الحقيقة للجمهور، وهو ما دفعه للدعوة إلى تجديد نظام إعلامي جديد وموضوعي مبني على الحقائق دون أي تدخلات في مضمون العملية الاتصالية(٢).

وتكرس وسائل الاتصال والإعلام أدوات لإدارة الرأي العام من قبل السلطة والحكومة، في الداخل أو الخارج لدى الحليف والعدو على حد سواء، كما تكرست القناعة المطلقة لدى وسائل الإعلام بتشييء الجمهور(٣).

وبعد التوضيح البسيط لدور وسائل الاتصال والإعلام في نقل الحقيقة للجمهور وعلاقتها بالسلطة، يعتبر الخطاب من المناطق التي تمارس فيها السياسة بعض سلطتها الأكثر خطورة، فالخطاب في الظاهر لم يكن إلا عبثاً، لأن الممنوعات الإجراءات الخارجية والداخلية التي تتضمنه، تكشف عن علاقته بالسلطة، وليس الخطاب ما يترجم الصراعات وأنظمة الهيمنة، بل من أجله وبه تقوم الصراعات، هو السلطة التي نحاول أن نمسك بها، وأصبح ينتج من خلالها صراع الخطابات، وهذا ما يعيننا في بحثنا. كيف تقوم السلطة أو السياسة بفرض بعض المصطلحات على حركات أو جماعات تعتبر في نظر السلطة عدائية؟

(١) تشومسكي، نعوم، **اللغة والمسئولية**، ترجمة: حسام البهنساوي، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط٢، ٢٠٠٥)، ص ٢٧.

(٢) تشومسكي، نعوم، **الربح على حساب الناس**، ترجمة: آلاء النحلاوي، (الكويت: منشورات تكوين، ط٢، ٢٠٢٢)، ص ١٩.

(٣) الحويك، **المسكوت عنه في الإعلام الغربي الإعلام الفرنسي المكتوب نموذجاً، ص ٢٥**.

تصل وسائل الاتصال والإعلام للجمهور عن طريق اللغة الإعلامية، وتعد هذه اللغة متخصصة ومهنية ولا تنفك عن آليات الخطاب المهيمنة أياً كان نوع هذه الهيمنة، فكل عملية اتصال لا بد أن تنطلق من أيديولوجيا محددة تبني بدورها مفاهيم عن الأفراد والأحداث والقضايا والوقائع والحروب والنزاعات التي يعيشونها أو يسمعون بها(١). ويؤكد تشومسكي أهمية العلاقة بين اللغة والسياسة والسلطة، ويرى أن الأيديولوجيات المتعددة المهيئة والمِصيغَة من قبل علماء الفكر تعتمد في الأساس على القدرة والبراعة في تشكيلها ضمن أساليب مؤثرة وفاعلة وتحقق تأثيرًا قويًّا على المتلقي(٢).

كما حدد تشومسكي عدداً من النماذج التي تفرضها السلطة على المجتمع والرأي العام، وهذه بعض النماذج التي ذكرها: دور السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية وعلى سبيل المثال الواقعي والحي المتمثل في موقفها من حركات التحرر الوطنية الفلسطينية وإطلاق مصطلح (الإرهاب) عليها وشيطنتها والعمل على محاولة تشويه صورتها أمام الرأي العام الأمريكي والعالمي، والعمل على بث الشائعات المغلوطة لتبرهن شرعية دولة الاحتلال وما تقوم به من عمليات إبادة وقتل واستيطان وارتكابها جميع المجازر والجرائم المحرمة والمجرّمة عالمياً ضد الشعب الفلسطيني؛ وأنها محاولة الدفاع عن النفس، إضافة إلى تقديم الدعم المستمر والدائم لدولة الاحتلال أمام الهيئات والمنظمات الدولية، واستخدامها حق النقض الفيتو متى شاءت في وجه أي دولة من دول العالم التي تؤيد وتساند حق الشعب الفلسطيني بعدالة قضيته وحقه في تقرير المصير ونيله حريته واستقلاله(٣).

وقد استخدم الصهاينة وحلفاؤهم في الولايات المتحدة الأمريكية مصطلح الإرهاب الذي يظهر حركات التحرر الوطني على أنها جماعات إرهابية متطرفة بذريعة أنها تحمل في ثقافتها شرًّا متأصلاً في النفس العربية وكرهًا عميقًا لا يستند إلى أسس قانونية أو أخلاقية، وأن هذا الحقد

(١) البشر، مُحَمَّد بن سعد، **أيديولوجيا الإعلام**، (الرياض: دار غيناء للنشر، ٢٠٠٨)، ص ٤٤.

(٢) تشومسكي، نعوم، **السيطرة على الإعلام**، ترجمة: أميمة عبد اللطيف، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٢، ٢٠٠٥)، ص ٢٦.

(٣) تشومسكي، نعوم، **أشياء لن تسمع بها أبدًا**، ترجمة: أسعد مُحَمَّد الحسين، (دمشق: دار نينوى، ٢٠١٠)، ص ٢٩٩.

والكره موجه ضد اليهود الذين يرغبون في أن يعيشوا بأمن وسلام، بل يتجاوز الأمر إلى حد ادعائهم أن الإرهاب العربي ضد المستوطنين هو عبارة عن استمرار لظاهرة "معاداة السامية" من وجهة النظر الغربية وكره العرب والمسلمين لغيرهم من الأجناس الأخرى، أي اليهود.

ويرى عبد الوهاب المسيري أن مصطلح الإرهاب هو إفراز للتصور الصهيوني والأمريكي، الذي يرى أن الوجود الصهيوني في فلسطين وجود شرعي وليس احتلالاً، وعلى العرب قبوله إن كانوا عقلانيين. أما إن قاوموه فإنهم يقومون بعمل إرهابي وغير عقلاني وغير شرعي. كما تم وصف الفلسطينيين الذين يدافعون عن وجودهم وحقهم ومقاومتهم للاحتلال والتغييب والتهميش بمجموعة من المجانين. فضلاً عن إطلاق مصطلح الإرهاب عليهم. ولكنْ بطبيعة الحال لا يتعرض الصهاينة والأمريكيون إلى عدم شرعية الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، بل يتجاهلون الحقيقة المتمثلة في أن هذه الشرعية ليس لها أي سند سوى القوة العسكرية والدعم الغربي اللامحدود[١].

بعد الإشارة لمصطلح الإرهاب وكيف تمت صناعته عن طريق السلطة والسياسة، هناك العديد من المصطلحات وليدة السلطة التي فرضتها على الرأي العام، مثلاً ما يسمى بـ"جيش الدفاع الإسرائيلي"، حيث يوحي استخدام هذا المصطلح إلى أن هذا الجيش يدافع عن أرضه وحقوقه وشعبه، إضافةً إلى إبعاد الصفة الحربية عنه وإعطائه شرعية لممارسة أعماله ومواصلة القتل، والمصطلحُ الصحيح هو "جيش الاحتلال الصهيوني" وهو عبارة عن ميليشيات إرهابية صهيونية دورها القتل والتدمير والمحافظة على ديمومة الاحتلال بقوة السلاح[٢]. كما أن مصطلح "يهودا والسامرة" يستخدم لتسويغ عملية الضم والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، وطمس المسميات التاريخية العربية والإسلامية في فلسطين المحتلة، والمصطلح الصحيح هو "الضفة الغربية"[٣].

(١) المسيري، عبد الوهاب، **الصهيونية وخيوط العنكبوت**، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٦)، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) المركز الفلسطيني للإعلام (٢٠٠٧)، مصطلحات صهيونية، فلسطين: تاريخ: ٢٠٠٧/٩/٨، https://palinfo.com/news/2007/09/08/187877/.

(٣) هاس، عميرة، سياسة إسرائيل تغيير اسم الضفة الغربية إلى يهودا والسامرة قولاً وفعلاً، (فلسطين، القدس العربي، ١٣ فبراير ٢٠٢٤).

ففي الآونة الأخيرة ظهرت مصطلحات متعددة مثل: "إيقاف العنف" و"وقف إطلاق النار" و"ضبط النفس" إشارة لما يحدث في فلسطين المحتلة. وهذه المصطلحات تحمل في طياتها تحيزات محددة وليست بريئة، لأنها تصنف حركات التحرر الفلسطيني والعنف الصهيوني على أنهما الشيء نفسه وكأنهما في خط واحد. هذه المصطلحات تساوي بين الضحية والجلاد، أي بين من يدافع عن أرضه وحقه وكرامته من ناحية، وبين من يحتل الأرض ويهجر أصحابها ويستخدم أحدث وآخر ما توصل له العلم من التكنولوجيا العسكرية في عمليات البطش والتنكيل بحق أصحاب الأرض الأصليين من ناحية أخرى[١].

(١) المسيري، **الصهيونية وخيوط العنكبوت**، ص ١٢٥-١٢٦.

الخاتمة

يمكن القول إن محاولة فوكو معالجة موضوع العلاقة بين الذات والسلطة والحقيقة انطلقت من قضية أساسية: وجوب المساءلة والإزاحة إذا ما أريد الإثبات والبناء، أي إن عملية البناء يجب أن تتبعها عملية النقد والمساءلة. وبالتالي، فقبل بناء وتقديم تصور جديد حول العلاقة بين الذات والسلطة والحقيقة ينبغي نقد ومساءلة أغلب التصورات والمعتقدات السابقة فيما يخص هذه العلاقة، فهو لا يرفض جميع أشكال السلطة ولا جميع أنماط الحقيقة، ولم يكن يهدف إلى إدانة السلطة في ذاتها ولا إدانة الحقيقة أو التبشير بها في مقابل السلطة، بل كان هدفه هو تحليل مركبات السلطة (الحقيقة)، والتعرف على المخاطر التي تنتج عنها وما تشكله من أثر على المجتمع. إنّ العلاقة الوثيقة التاريخية بين السلطة والحقيقة لا تتمثل من حيث كون السلطة توظف الحقيقة غطاء شرعياً فحسب، بل من حيث إن منظمات الحقيقة لها طابع سلطوي كثيف. وليست السلطة في موقع سلبي مقابل الحقيقة، بل إنها تنتجها وتدعمها وترتبط بها ارتباطاً مختلفاً، والحقيقةُ مقترنة بالسلطة.

وقد حاول فوكو التأكيد على دور العلاقة بين السلطة والمعرفة والقانون. فهو ينطلق من هذه الثلاثية الحاكمة لمنهجيته الفلسفية، ويعتبر أن هذه الثلاثية هي الحاكمة والمؤثرة في جميع مجالات المعرفة والعلوم، وإن البحث في المفهوم الفلسفي للسلطة عنده يركز على العلاقات السلطوية داخل المجتمع التي لا تنشأ وتمارس خارج العلاقات السياسية والاقتصادية والمعرفية والجنسية، وإنما تنبثق عنها. وبذلك، يكون المصدر الحقيقي للسلطة هو أسفل القاعدة الهرمية للسلطة وليس قمته.

ووفقاً لذلك، فإن الأزمة الحقيقية تتبدّى هنا في تشكل شبكات السلطة، بحيث تعمل على بناء سياق اجتماعي ثقافي يقصي تلقائياً ما يناقض أو يعارض هذه الشبكات عبر آليات الإقصاء حيث إن هدفها الأساسي هو الحد من سلطة الخطاب. وإذا كنا قد أوردنا في البحث بعض المصطلحات التي تفرضها السلطة على الجمهور عن طريق وسائل الاتصال والإعلام، فإنها تشكل أكبر مساحة من المسكوت عنه، والأهم من ذلك أنها

تتمحور حول القضايا التي تطال العالم العربي والإسلامي؛ سواء ما يتعلق في الاستعمار أو بالعلاقة مع الصهيونية. وأخيراً، عبر التناول المعاصر لموضوع الإرهاب وتحوله لتهمة تطال حركات التحرر. إضافة إلى أن العديد من وسائل الإعلام العربية والغربية تستخدم مصطلح الإرهاب في خطاباتها وتقاريرها ضد حركات التحرر.

النتائج:

١- توصلت الدراسة إلى أن فوكو كان يهدف لتحليل تأثير مركبات السلطة على "الحقيقة"، وقد أكد على ضرورة التعرف على المخاطر التي تنتج عن تدخل السلطة في صناعة "الحقيقة"، وما تشكله من أثر على المجتمع. حيث اتجه فوكو إلى نقد السلطة انطلاقاً من منهجه الحفري الذي لا يؤمن بمركزية الهيمنة، ولا يخضع لرقابة المؤسسة الحاكمة. والسلطة في نظره ليست شراً، وليست خيراً، فهو لم يحارب السلطة لذاتها، بل حاول تفكيك أنماط وجودها عبر مسيرة العقلانية الأوروبية، وذلك لكي يتمكن من مواجهة السلطات الاستبدادية التي قيدت الجماهير بحجة عقلنة الواقع، وبحجة وضع الأسس المناسبة للتطور والتقدم.

٢- توصلت الدراسة إلى أن الأزمة الحقيقية تتبدّى في تشكل شبكات السلطة الاستبدادية بحيث تبني سياقاً اجتماعياً وثقافياً يقصي كل من يناقضها، عبر ما عرفه فوكو على أنه آليات الإقصاء.

٣- توصلت الدراسة إلى أن وسائل الاتصال والإعلام خاضعة لهيمنة مجموعات ضغط وقوى مختلفة، فإما أن تكون حكومية تمارس سلطتها وهيمنتها عبر مؤسساتها، وإما أن تكون خاصة وتخضع لسلطة رأس المال، والحالة الأشمل اليوم في زمن العولمة هي تلك التي تخضع لهيمنة رأس المال العابر للحدود.

التوصيات:

١- إن معظم وسائل الاتصال والإعلام تخدم مصالح السلطة المهيمنة عليها، وبالتالي يجب على الأفراد عدم اعتبار هذه الوسائل مصادر حقيقية للمعلومات.

٢- تعزيز دور المراجعات الفلسفية في التصدي للمصطلحات التي يتم فرضها من قبل السلطة.

٣- ضرورة أن يكون هناك دراسات وأبحاث فلسفية وإعلامية تسلط الضوء على المصطلحات التي يتم فرضها من قبل السلطة الحاكمة، لتعريف الجماهير بالحقيقة التي تتبناها وسائل الاتصال والإعلام الخاضعة للسلطة ولرأس المال.

المراجع

- أبو زيد، فاروق، (٢٠٠٦)، **الإعلام والسلطة**، القاهرة: عالم الكتب.
- بارت، رولان، (١٩٩٣) **درس السيميولوجيا**، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، (الطبعة الثالثة). الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- البشر، مُحَمَّد بن سعد، (٢٠٠٨)، **أيديولوجيا الإعلام**، الرياض: دار غيناء للنشر.
- بغورة، الزواوي، (٢٠٠٠)، **مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو**، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- بغورة، الزواوي، (٢٠١٠)، **اللغة في حد ذاتها كينونة قائمة تؤثر في السلطة**، الكويت: الراي.
- بغورة، الزواوي، (٢٠١٥)، **الخطاب بحث في بنيته وعلاقته عند ميشيل فوكو**، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
- تشومسكي، نعوم، (٢٠٠٥)، **السيطرة على الإعلام**، ترجمة: أميمة عبد اللطيف، (الطبعة الثانية). القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- تشومسكي، نعوم، (٢٠٠٥أ)، **اللغة والمسئولية**، ترجمة: حسام البهنساوي، (الطبعة الثانية). القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- تشومسكي، نعوم، فوكو، ميشيل، (٢٠١٥)، **عن الطبيعة الإنسانية**، ترجمة: أمير زكي، القاهرة: دار التنوير للطباعة والنشر.
- تشومسكي، نعوم، (٢٠١٠)، **أشياء لن تسمع بها أبدًا**، ترجمة: أسعد مُحَمَّد الحسين، دمشق: دار نينوى.
- تشومسكي، نعوم، (٢٠٢٢)، **الربح على حساب الناس**، ترجمة: آلاء النحلاوي، (الطبعة الثانية). الكويت: منشورات تكوين، الكويت.
- حرب، علي، (١٩٩٣)، **النص والحقيقة نقد الحقيقة**، بيروت: المركز العربي الثقافي.

- حرب، علي، (٢٠٠٧)، **التأويل والحقيقة**، (الطبعة الثانية). بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
- الحويك، حياة، (٢٠٢١)، **المسكوت عنه في الإعلام الغربي الإعلام الفرنسي المكتوب نموذجاً**، (الطبعة الأولى). بيروت: منتدى المعارف.
- حيدوري، عبد السلام، (٢٠١٧)، **فوكو وأنطولوجيا الحاضر من الانشغال الأنتربولوجي إلى الاضطلاع الإتيقي السياسي**، المغرب: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.
- الداوي، عبد الرزاق، (٢٠٠٠)، **موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر هيدجر، ليفي ستروس، ميشل فوكو**، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- دريفوس، أوبير، وبول رابينوف، (١٩٩٠)، **ميشال فوكو: مسيرة الفلسفية**، ترجمة: جورج أبو صالح، بيروت: مركز الإنماء القومي.
- دولوز، جيل، (١٩٨٧)، **المعرفة والسلطة: مدخل إلى قراءة فوكو**، ترجمة: سالم يفوت، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- روجيه، بول دروا، (٢٠٠٤)، **حوارات فلسفية**، ترجمة: مُحَمَّد ميلاد، دمشق: دار الحوار.
- سيم، ستيورات، وبورين، فان لوون، (٢٠٠٥)، **النظرية النقدية**، ترجمة: جمال الجزيري، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- فوكو، ميشيل (١٩٨٠)، الحقيقة والسلطة في حوار أجراه معه م. فونتا، بيروت: **مركز الإنماء القومي**.
- فوكو، ميشيل، (١٩٨٨)، **جينالوجيا المعرفة**، ترجمة: أحمد السطاتي وعبد السلام بنعبد العالي، المغرب: دار توبقال للنشر.
- فوكو، ميشيل، (١٩٨٩)، **الكلمات والأشياء**، ترجمة: مطاوع صفدي، لبنان: مركز الإنماء القومي.

- فوكو، ميشيل، (١٩٩٠)، **تاريخ الجنسانية، إرادة المعرفة**، ترجمة: مطاوع صفدي وجورج أني صالح، بيروت: مركز الإنماء القومي.
- فوكو، ميشيل، (١٩٩٤)، **المعرفة والسلطة**، ترجمة: عبد العزيز العيادي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- فوكو، ميشيل، (١٩٩٧)، **ما معنى المؤلف في كتاب القصة الرواية المؤلف**، دراسات في نظرية الأنواع المعاصرة، ترجمة: خيري دومة، القاهرة: دار شرقيات.
- فوكو، ميشيل، (٢٠٠١)، **يجب الدفاع عن المجتمع**، دروس أُلقيت في الكوليج دي فرانس لسنة ١٩٧٦، ترجمة: الزواوي بغورة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع.
- فوكو، ميشيل، (٢٠٠٦)، **هم الحقيقة**، ترجمة: مصطفى المسناوي وآخرون، الجزائر: منشورات الاختلاف.
- فوكو، ميشيل، (٢٠٠٧)، **نظام الخطاب**، ترجمة: مُحَّد سبيلا، بيروت: دار التنوير.
- فوكو، ميشيل، (٢٠١١)، **تأويل الذات** دروس أُلقيت في الكوليج دي فرانس لسنة ١٩٨١-١٩٨٢، ترجمة: الزواوي بغورة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- فوكو، ميشيل، (٢٠١٥) **الانهمام بالذات، جمالية الوجود وجرأة قول الحقيقة**، تقديم وترجمة: مُحَّد ازويتة، المغرب: أفريقيا الشرق.
- فوكو، ميشيل، (٢٠١٥أ)، **حفريات المعرفة**، ترجمة سالم يفوت، (الطبعة الرابعة). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- فوكو، ميشيل، (٢٠١٨)، **مولد السياسة الحيوية**، ترجمة: الزواوي بغوره، الدوحة: دار منتدى العلاقات العربية والدولية للتوزيع والنشر.
- فيركلف، نورمان، (٢٠١٦)، **اللغة والسلطة**، ترجمة: مُحَّد عناني، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- الكبسي، مُحَّد علي، (١٩٩٣)، **ميشال فوكو تكنلوجيا الخطاب تكنلوجيا السلطة**

تكنلوجيا السيطرة على الجسد، تونس: دار سيراس للنشر.

- الكردي، مُحَمَّد علي، (٢٠٠٢) **قضايا ووجوه فلسفية، بطاي– فوكو– ديدرو**، الإسكندرية: دار ومطابع المستقبل.
- ماركوز، هربرت، (١٩٨٩)، **الإنسان ذو البعد الواحد**، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت: دار الآداب.
- المسيري، عبد الوهاب، (٢٠٠٦)، **الصهيونية وخيوط العنكبوت**، دمشق: دار الفكر.
- وايت، هيدن، (١٩٩٦) **البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا**، ترجمة: مُحَمَّد عصفور، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- ولد أباه، السيد، (١٩٩٤)، **التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو**، بيروت: دار المنتخب العربي.
- **المجلات والابحاث:**
- أبو سارة، جميل وشومر، توفيق، (٢٠٢١)، تأثير فلسفة اللغة في سياق الانتقال الحداثي عند ميشيل فوكو، عمان: **المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية**، ١٤(٢)، ٢٠٣.
- ألتوسير، لوي، (٢٠١٤)، لوي ألتوسير: الأيديولوجيا وأجهزة الدولة الأيديولوجية (الجزء ١ من ٢)، ترجمة: عمرو خيري، قراءات، نوفمبر ٢٣، ٢٠١٤: https://qira2at.com/2014/11/23
- بارت، رولان، (٢٠١٦)، اللغة والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، المغرب: **مجلة الجابري**، ع(٦).
- بغورة، الزواوي، (٢٠٠٢)، بين اللغة والخطاب والمجتمع: مقاربة فلسفية اجتماعية، الجزائر، **المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية**.
- بنعبد العالي، عبد السلام، (٢٠١٨)، في المعرفة والسلطة، **أعمال المؤتمر الأول: في الحاجة للتأويل**، مرتيل: مختبر التأويليات والدراسات النصية واللسانية، ص ١٣–١٧.
- خنوس، أشواق، وعيادي، عبد المالك، (٢٠٢٢)، دراسة سياسة الذات والحقيقة في

فلسفة ميشيل فوكو، الأردن، **مجلة دراسات**، ١٣(١).

- الزغول، سلطان، (٢٠٢٣)، سلطة الخطاب بين ميشيل فوو وإدوارد سعيد، الكويت، **مجلة عالم الفكر**، (١٩٢)، ٥١-٥٢.
- علاء الدين، غسان مُحَمَّد، (٢٠١٩)، المساءلة الإتيكية لعلاقة الذات بالحقيقة عند ميشيل فوكو، سوريا: **مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية**، ٤١(٦)، ٣٤١.
- فوكو، ميشيل، (٢٠١٥)، تدبير الحقيقة، ترجمة: سبيلا وبنعبد العالي، المغرب، **مجلة الجابري**، (٣)، ١.
- فوكو، ميشيل، (١٩٨٠)، الحقيقة والسلطة: حوار اجراه معه م. فونتانا، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، (١)، ١٣٠-١٣٧.
- مخلوف، شاكر، (٢٠١٦)، مقاربة إبستمولوجية لفكر ميشيل فوكو، الجزائر، **مجلة الحوار الثقافي**، ٦(١)، ٨٥.
- المركز الفلسطيني للإعلام (٢٠٠٧)، مصطلحات صهيونية، فلسطين: تاريخ: ٢٠٠٧/٩/٨، https://palinfo.com/news/2007/09/08/187877./
- نور الدين، مصطفى، (٢٠١٨)، الحقيقة والسلطة عند ميشيل فوكو، القاهرة، **مجلة الديمقراطية**، ١٨(٧٢)، ٩٢.
- وهابي، نزيه، (٢٠٢٠)، أسس تطبيقات التحليل النقدي للخطاب في دراسات الخطاب الإعلامي، الجزائر، **مجلة جسور المعرفة**، ٦(٤)، ٦٩.
- هاس، عميرة، (٢٠٢٤)، سياسة إسرائيل تغيير اسم الضفة الغربية إلى يهودا والسامرة قولاً وفعلاً، فلسطين، **القدس العربي**، ١٣ فبراير ٢٠٢٤.
- الهلالي، عبد المجيد، (٢٠١٧)، الخطاب عند ميشيل فوكو، **بحث منشور في مؤسسة الحوار المتمدن**، العدد ٥٦٩٢، تاريخ ٢٠١٧/١١/٨.

○ يرويني، خليل، وحسيني، سيد حسن، (٢٠٢٠)، سلطة اللغة وصناعة الحقيقة في فلسفة ما بعد الحداثة "قراءة في مجموعة تنبأ أيها الأعمى لأدونيس"، إيران، **مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها**، (٢٩)، ٩٤.

المراجع الأجنبية:

- Foucault, M., (2010), ***Truth and Juridical Forms***, Trans.: Lawrence Williams & Catherine Merlen, Arizona: Arizona State University.
- Lorenzini, D., & Tiisala, T., (2024*)*, The Architectonic of Foucault's Critique, ***European Journal of Philosophy***, 32, 114-129